الثقافة

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق

حزيران ١٩٩٢



الثقافة

أدبية فكرية جامعة تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

مؤسسها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش

FONDATEUR
ET REDACTEUR EN CHEF
Madhat Akkache

هـ ٢٢٩٩٨٤ P.H 229984
ص. ب. /٢٥٧٠/ B.O.P. 2570
دمشق DAMAS

حزيران ١٩٩٢

محتويات العدد

الشاعر
جابر خير بك
(دراسة وتحليل)

بقلم الدكتور
عبد اللطيف اليونس

الشاعر " جابر خير بك " هو ليس جديدا بالشعر ، ولا بالشهرة ، بل هو معروف بهما ومشهود له بهما ٠

وقد تعدت شهرته البيئة التي يعيش فيها وتخطتها ٠٠ وبدأ اسمه يجلجل في كل ناد أدبي ومجتمع قومي ٠

إنه يعيش مع الأحداث : عامة وخاصة ٠

ومن النادر - إن لم يكن من المستحيل ٠٠ أن يمر حدث له أثره وخطره إلا ويكون له موقف به واثر فيه ٠

وهي ظاهرة تدعو الى الاعجاب - مثلما تدعو الى الاعتزاز والتقدير ٠

والحدث الذي يؤرخ في شعر ٠٠ يبقى على مر الأيام ، وتوالي الأجيال ٠٠ فيخلد هو بها ، وتخلد هي به ٠

والأحداث التي خلدها الشعر ،في العصور التي مرت ، انما بقيت حية في ذاكرة التاريخ ، وعلى ألسنة الناس ٠

وموسيقى الشعر ٠٠ هي أكبر داع ابقائها، وباعث لخلودها ٠

والأسلوب الجاف ٠٠ لا يصلح للخلود - وان يكن ما يحويه جديرا به ٠

وأما الأسلوب الناعم السلس الشيق ٠٠ فهو الذي يبقى - وان يكن ما يحويه ليس جديرا بأن يبقى ٠

والشاعر " جابر " يعنى بالكلمة الأنيقة والعبارة المنتقاة ٠٠ ويحلهما في المكان الذي يجب أن تحلا به ، فتشعر وأنت تقرؤه أنك تنهل عسلا أو ترشف ضوءا ٠٠ فلا تشبع ذاكرتك ولا ترتوي مقلتاك ٠٠ وانما تظلان تطلبان المتابعة والمزيد ٠

والشاعر الشاعر ٠٠ هو هذا ٠

ومن لم يكن هكذا ٠٠ فهو ليس بشاعر- وانما هو عالة على المجتمع والشعر معا ٠

وبعض الأقلام ٠٠ قد تحب المجاملة -

وبنعمة الله ٠٠ فأنا بعيد عنها وبريء منها٠
ولكن الخلود لا يعرف المجاملة ٠٠ وانما يسخر بها ، وبمن هي له ٠

فالخلود لا يعرف الا الواقع ، ولا يتأثر الا بالحقيقة ، ومن يكن بعيدا عنهما ٠٠ فهو أبعد مايكون عن الخلود ، وعن مؤشراته ومؤثراته ٠
والشاعر " جابر " فخور بامته ، شديد الاعتزاز بها ، ولكنه يأسى لأساها ، ويتألم لما نالها وأصابها ٠

فهذه أمتي ثكلى ٠٠ تمزقها
مخالب الدهر والأحداث والعلل
تحملت من مآسيه ومحنته
وأثلقت جيدها الأغلال والزلل
وطوقتها الدواهي وهي غافلة
وراح يفتك في أوصالها الكسل

٠٠ وفي يقيني ٠٠ أن الكسل الذي راح يفتك بها ٠٠ هو أشد أثرا ، وأكثر أذى من مخالب الدهر ٠
ولماذا نلوم الدهر ، ونتهم مخالبه ، ولا نلوم أنفسنا ، ونتهم قعودنا وتهاوننا وكسلنا ؟ !
وصدق الشاعر ٠
فقوله ٠٠ إن " الكسل " هو الذي يفتك بأوصال أمتنا صحيح ، وأكرم بها من صورة - ولو كانت قاسية ومؤلمة ٠٠ وأنعم به من قول - ولو كان جارحا ومذيبا ٠

تشتتت أمتي حتى غدت أمما
لا المجد يذكر ماضيها ولا الأسل
ألم تكن قبلة التاريخ في زمن ؟
أما ترعرع في أحضانها الأزل ؟
ألم تكن لرسالات السما وطنا
حرا وفيها تسامى الوحي والرسل

٠٠ لايقصد الشاعر أن الأمة العربية قد تمزقت حتى صارت أمما ٠٠ فهي ماتزال أمة لها تاريخها الحافل ، ولغتها الواحدة التي تعتبر أغنى لغات الدنيا كلها - ولا أستثني ٠٠ وانما يقصد أن بعض شعوبها يتصرف وكأن له منبعه التاريخي المستقل ، وكيانه المنعزل عن الكيانات الاخرى ٠
فـ " الصومال " وهو عضو بالجامعة العربية قد تنكر على اللغة العربية وأصبحت لغته الافريقية٠٠ هي اللغة الرسمية !! ومع ذلك فهو ما يزال عضوا بـ " الجامعة العربية " ويبدو أنه سيظل ٠
ونحن لا نوافق شاعرنا على أن المجد لا يذكر ماضينا ، فماضينا معروف ، ومعترف به ، رغم حقد أعدائنا وضغنهم ولؤمهم ٠
وأما ترعرع الأزل في أحضان أمتنا وانها كانت قبلة التاريخ ٠٠ فانه ، معنى ومبنى ، لا شبيه له ولا نظير ، ولا مثيل وهيهات ٠٠
أمة ٠٠ هي قبلة التاريخ ، وقد ترعرع الأزل في أحضانها ٠٠ هو من أسمى وأزهى ماقرأت
هذا القول ٠٠ وحده دنيا من السمو والاشراق ٠٠ وفي كنف معناه - الذي لا يضاهيه أي معنى آخر ٠٠ انما ينشأ الخلود ، وتبدو العظمة وتتعالى ٠
قدوس ، قدوس ٠٠
ورغم التاءات الأربع ، في الكلمة الأولى بالبيت الأول ، فهذه الأبيات من رائع مانزهو به ونعتز ٠
والفرسان الذين كتبوا لنا ملاحم المجد ، وزينوا دفتر الأيام ، قد ارتحلوا :

فرسانها ٠٠ كتبوا للمجد ملحمة
وزينوا دفتر الأيام وارتحلوا
وركزوا في النجوم الزهر رايتهم
خفاقة واحتفى تيها بهم زحل
أجدادنا من خيوط الشمس قد نسجوا
شال الثريا وزنار السهى غزلوا

٠٠ ما أجمل هذا الغزل والنسيج ، من خيوط الشمس ، وأحلاه !! حتى غزلنا ونسيجنا قد وصلا

الى النجوم ، وأصبحت تتباهى به ٠

وما أروع هذه الراية التي ركزها أجدادنا فوق النجوم الزهر - كأنها أعلام تعتز بنا ، وتشير إلينا ٠

ورغم كل هذا المجد ، وهذا الخلود ، وهذه النعمى :

فما لنا اليوم ٠٠ والأحزان تقتلنا
اذا انتسبنا، ويعلو وجهنا الخجل
وما لنا لم نعد نأسو لمحنتنا
ضاقت على سعة من يأسنا الحيل
كل يئن ٠٠ وقد أودى به قدر
كأنه تحت سكين الردى حمل

٠٠ لا - يا شاعرنا المحلق ٠٠ ليس القدر هو الذي أودى بنا ٠٠ فالقدر رحيم كريم ٠٠ ولكن " كسلنا " الذي عبرت عنه آنفا ، فأحسنت التعبير ، هو الذي راح يفتك بأوصالنا ويدمرنا ٠

ولماذا نحمل " القدر " مسؤولية تقاعسنا وإهمالنا ، وقعودنا وركودنا ؟ اننا نحن المسؤولون - وليس القدر ولا الآخرون ، فالأمة التي تظل تعيش واقعها وتحياه ، وتبقى ساهرة يقظة ٠٠ هي الأمة التي لا يمكن أن تضعف ولا أن تذل ٠٠ ولا أن تصبح حملا تحت رحمة سكين الردى ، ومدية الجزار ٠٠ بل تفرض نفسها على الزمن والناس ، وتبقى في السؤدد والعلى ٠

شيء منا منبعه ٠٠ وعلينا أن نتحمل نتائجه ، ولا نحمله لسوانا ٠

و " صافيتا " التي أطلق عليها شاعرنا اسم " جارة النجم " كما أطلق " شوقي " على " زحلة " جارة الوادي " بقصيدته الشهيرة الرائعة ٠

" صافيتا " هذه قد أضفى الشاعر على فتنتها فتنة ، وجمالها جمالا ٠٠ وعلى سحرها سحرا ، وروعتها روعة ٠٠ وذلك برائعته التي ألقاها فيها ، وما يزال أبناء صافيتا النجباء البررة يتحدثون عنها ويترنمون ببعض ابياتها ٠

وما أحسب " جارة الوادي " تضاهي " جارة النجم " - من حيث روعة المناظر ، وجمالها وسحرها ، ولا شك ان الالتصاق بالارض غير الالتصاق بالنجوم ٠

يا " جارة النجم " جن البحر واصطخبت
أمواجه تتشاكى عند شطآن
يرنو اليك وشوق في محاجره
الى مراتع واحات وغدران
هلا بعثت له نجما ٠٠ يسامره
ويحمل الشوق من صاد وهيمان

٠٠ ما أجمل حنين البحر أو جنونه ! وما أحلى مراتعه - أو مرابعه ! وما أروع مساهرة النجم له - أو مسامرته إياه ! ٠

صور متلاحقة ٠٠ يزحم بعضها بعضا ، ولعل واقع الصورة ٠٠ هو غير رؤيتها على الشاشة، أو بواسطة منظار

يا "جارة النجم" أصبانا الغياب كما
يصبو المحب الى محبوبه الحاني
هلا تذكرت وعدا في الكروم لنا
نشوى تسلم خديها لنشوان

٠٠ ما أحلى هذه الذكرى ٠٠ وهذا الاستلام والتسليم ، ليتنا ، ونحن من الصادين العطشى ٠٠ كنا أحد المحظوظين المستلمين ٠

يا " جارة النجم " جئت اليوم منتظرا
أن ألتقي كل أحبابي واخواني

٠٠ ولقد كنت أحد هؤلاء الذين ينتظرون وينتظرون ، ولكن الحظ ، مع الأسف لم يسعف ٠٠ ونشوة الأمل قد غاضت بهجتها ، وتلاشت مع الحرمان روعتها وفتنتها ٠

يا رب إن شئت يوما أن تخيرني
فيما أحب وأمر الحشر وافاني

وانت أدرى بما في الصدر من وله
أختارها أولا والجنة الثاني

.. ولقد أحسن الشاعر الاختيار ، فرؤية الجنة نعمة .. ورؤية أتقياء عابدين زاهدين ، ومنصرفين لله وحده .. وليس للدنيا أي أثر في أحاسيسهم ومشاعرهم هي ايضا نعمى .

أما " جارة النجم " أما " صافيتا " .. ففيها نعمة السماء ، وسحر الأرض ، فيها نشوة الملاك ، وزهو الانسان ، فيها الانصراف الى مثل أعلى ، والذوبان فيه .. فيها سحر الطبيعة - وكأنها انسكبت من السماء على الأرض ! .

انها الفردوس الذي تسلسل من عل .. وظل محتفظا بما في العلاء من نقاء وصفاء ونعماء .

وبئس الانسان .. الذي لا يعرف معنى الجمال ، وسر السحر ، ونشوة الفتنة .. ولا يعيش ذلك كله ، ويتغنى به ..

والشاعر الشاعر .. هو وحده الذي يعرف هذا ، ويستطيع التعبير عنه .

وشاعرنا " الجابر " هو هذا الشاعر .

ولنا - الى شعره الرائع العذب .. عوده .

د . عبد اللطيف اليونس

نهر

«ابن خفاجة الأندلسي»

متعطف مثل السوار كأنه
والزهر يكنفه مجر سماء

قد رق حتى ظن قرصا مفرغا
من فضة ، في بردة خضراء

وغدت تحف به الغصون كأنها
هدب تحف بمقلة زرقاء

والريح تعبث بالغصون وقد جرى
ذهب الأصيل على لجين الماء

عالمٌ أنت من معان

شعر الدكتور جميل علوش - الأردن

بسمات سكرى على شفتيه وظلال ظمأى على مقلتيه
أنا وسنان من أساي وليلي يتمطى على رؤاي السنيه
الغني ولم تدع لي الليالي من أغاريد صبوتي أغنية ؟
كان زهو وكان حلم فضاعا وتوارت كواكبي الدريه

يا أحب الورى الي ويا أجمل طيف يرف في عينيه
أنا إن كنت أعشق الجسم فالروح لها موقع أثير لديه
ومضات العيون تصرع لكن ومضات النفوس تذكي الحميه
والذي تحمل النفوس من الاشعاع تبقى الجفون عنه عييه

**

حلوتي يا كحيلة الجفن يا باقة ورد تظل دوما شذيه
عالم أنت من معان ودنيا من عطاء وجنة علويه
لك في كل موقف ومجال خاطر نافذ وعين ذكية
فالحكايات ثرة والاحاديث كما الشهد عذبة وطليه
كل بيت أرويه تجلين معناه وتدرين وزنه ورويه

**

مر دهر ونحن تختلج الروحان في زحمة الجراح الدميه
بعد العهد بالأحبة والصحب وطيب الضحى وسحر العشيه
ياسقى الله حقبة تنتشي الروح لدى ذكرها وتصفو السجية
كنت فيها أرنو إليك وكانت تستبيني جفونك السحريه
كنت فيها أصبو اليك وكانت صبواتي مثل الرياح العتيه
كل يوم لنا مع الفجر ميعاد وللطير زقزقات شجيه
والسني يغمر البطاح اللواتي تتحلى بحلة سندسيه
نتلاقى ففي الجفون حنين يتلظى وفي الشفاه تحيه
ألف لفظ وألف لحظ ولكن يعلم الله ماتسر الطويه
لم نكن نستبيح ان يكشف السر وأن تعرف المعاني الخفيه
أنا أدري وأنت تدرين والمقصد باد لولا خصال عصيه
قد كتمنا أهواءنا ودفنا كل ما تحمل الضلوع الدويه
في كتاب في طرفة في حديث في سؤال في مشكل في قضيه

كنت أعني بكل شيء تقولين وأصغي بلهفة ورويه
لفتات الي منك توالت ملأتني بالبشر والأريحيه
تشهد «السلط» كم لنا من غدو ورواح على رباها البهيه

يزدهيني أني سموت بروحي عن لبانات حبنا الدنيويه
لم أفاتحك في مباح ومحظور وأثرت صحبة عذريه
ثم لما تفرقت بالهوى السبل وتاهت ركابنا في البريه
ضج في خاطري إليك اشتياق وتنزت في مهجتي أمنيه

قلت: هل ينقع العفاف غليلا أو يروي الحياء روحا ظميه
وحل الحب والغرام جناح وحل الضم والعناق رزيه
يا لعمر يضيع في الريح لا تسلم منه لذي مرام بقيه
الخيالات عالم تأنس النفس إليه من شدة وأذيه
فلماذا نردها إن تصبتنا ونزور رهبة وتقيه ؟؟
بل لماذا نذود أنفسنا عنها وفيها لنا حبات سخيه
أصحيح أن السرور حرام لنفوس على الأسى مطويه ؟
عذبة الروح طال بعدك عني أمن العدل ان تظلي قصيه
أنا يهفو إليك قلبي فهل قلبك يهفو حبا ويصبو إليه ؟
أنا تدمى الى لقاك جراحي فأرود العوالم الوهميه
أتمنى لو كنت قربي أو لو كنت طول الزمان بين يديه
لهفتا لو تمر فوق جبيني لك كف كما الغمام نديه
وبنات لها على ورق الورد وإن راق في العيون مزيه
أنت أدنى إلي من كل حواء ولو كنت في السهى منفيه
أنت أنسي وإن فقدت بك الأنس فبعض الارواح تبقى وفيه

**

عذبة الروح ما أحب قصيدا لك يهدى وما أقل الهديه
ألف عذر إذا جمحت فسالت مل طرسي عواطفي الشعريه
انني قد كتمت حبي حتى لفني مرغما سكون المنية
فلأفجر هذي العوالم حبا ولأمزق ستائر الأبديه
واذا ما سمعت صوتي يدوي كدوي الرعود في البريه
لا تقولي به جنون فهذا هو صوت الحياة والحريه

صفحات فلسطينية..
من أرشيف الصحافة العربية قبل النكبة

الدكتور سهيل الملاذي - جامعة حلب

تعتبر المسألة الفلسطينية من أهم المسائل التي كانت مطروحة على الساحة السياسية في فترة ما بين الحربين العالميتين ، وبالتالي فقد انعكست أحداثها ومضاعفاتها على صفحات الصحف العربية

صحيح أن نكبة فلسطين قد حدثت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولكن مما لا جدال فيه أن القضية كانت آنئذ تتفاعل بحدة وعنف ، وتتمخض عن أحداث وتطورات ذات تاثير واضح على مسارها ، بل لنقل : إن المؤشرات التي تدل على ولادتها قد برزت في وقت مبكر ، في أثناء الاتصالات والتحالفات الدولية التي كانت تجري قبل الحرب العالمية الاولى وخلالها وبعدها ، وكان وعد بلفور من ابرزها .

وإذا أردنا أن نتبين الاتجاهات في مواقف الصحف العربية من هذه القضية ، فسيظهر لنا اتجاه واحد ، هو تأييد كفاح الشعب الفلسطيني وثوراته المتصلة ، من أجل المحافظة على وطنه وأرضه ، واستنكار المؤامرة التي تحاك ضده ، وتأييد حقه التاريخي في فلسطين ، ورفض الهجرة اليهودية ، وما تقوم به الوكالة اليهودية في سبيل تسهيلها .

قلما كانت الصحف العربية تخلو من الاراء والتعليقات والاشارات والمقالات والحلول التي تمس القضية بشكل مباشر ، وهي - مع وحدة توجهها - تناولت القضية من جوانب مختلفة ، وبدرجات متفاوتة من الحماس ، فبعضها تناول القضية من الناحية الدينية ، وبعضها الاخر من الناحية القومية وبرز في بعضها جانب معتدل أحيانا ، بعيد عن التأثر بالعواطف ، أخذ به غير العرب واليهود .

إن المحاور الرئيسة التي توزعت اليها مواقف الصحافة العربية من قضية فلسطين هي : التأييد العربي والاسلامي لها ، الغزو الصهيوني الذي تتعرض له ، علاقة الانتداب البريطاني وتعاونه مع الصهيونية ، المواقف العالمية منها .

١- الموقف الاسلامي والعربي :

دعت الصحف العربية ، وخصوصا ذات الاتجاه الديني ، المسلمين الى تأييد قضية فلسطين، باعتبارها قضية شعب مسلم تخص كل المسلمين ، وأعلنت عن تعاطفهم معها ، واهتمت بالمؤتمرات الاسلامية التي عقدت لنصرتها ، ورأت في الوحدة الاسلامية طريقا لانقاذها(١) .

وقد لقيت الدعوة التي وجهها الحاج أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، لعقد مؤتمر اسلامي عام في القدس لنصرة فلسطين ، تأييدا في الصحافة الاسلامية من أنصار الجامعة الاسلامية (٢).

ووقف أنصار الجامعة الاسلامية أيضا ضد الغرب الاستعماري ، لأنهم رأوا فيه داعي التفرقة ، وعامل الاستغلال ، ومثير الفتن ، وسبب المحن للمسلمين ، فقضية فلسطين هي قضية شعب مسلم يتعرض لمؤامرة استعمارية ، وتخليصه من محنته

يقع على عاتق المسلمين جميعا ، ولهذا لا بد من تحقيق الوحدة الاسلامية لانقاذه (٣)٠

تحدثت الصحف العربية أيضا عن موقف العرب المساند لفلسطين العربية في محنتها وشكلت لجان وانتخبت هيئات للدفاع عن فلسطين ومتابعة الجهود لكسب التأييد المادي والمعنوي للقضية(٤)٠

وربطت الصحافة العربية بين الدعوة الى نصرة قضية فلسطين ، والدعوة الى الوحدة العربية(٥)، وحث العرب واثارت هممهم لانقاذ فلسطين وطالبتهم بجعل هذا الامر محور السياسة العربية(٦) ٠

وتأكيدا لتضامن العرب مع القضية الفلسطينية ، عقد " المؤتمر القومي العربي " في بلودان، في سورية لنصرة فلسطين وكفاحها ، برئاسة ناجي السويدي ، وحضور نبيه العظمة رئيس لجنة الدفاع عن فلسطين في سورية ٠

وقد تحدث أمين الركابي عن هذا المؤتمر، في تقديمه لكتاب " المؤتمر العربي القومي في بلودان "(٧)، ، وعلقت جريدة " الجهاد " عليه تحت عنوان : " الأمة العربية وفلسطين "(٨) ، موضحة أن الوحدة العربية وفلسطين هما أمنيتا العرب ، الذين يقدمون التضحيات في فلسطين لا رغبة في الحرب ، بل في سبيل الكرامة وتحقيق الوحدة والسلم والتعليم ، وذكرت الجريدة الغرب بأن مصلحته ومصلحة البلاد واحدة ، وما عليه الا التعاون لتحقيق ذلك(٩) ٠

طالبت " الجهاد " كذلك بارسال المساعدات الى اللجنة التنفيذية العليا في فلسطين ، لدعمها وتشجيعها على الثبات في المحنة(١٠) ، ودعت العرب الى اعلان الجهاد المقدس لانقاذ فلسطين من المؤامرة التي تدبر لها(١١) ، وتحدثت عن محاولة بعض الزعماء العرب تعديل موقف أمريكا من القضية(١٢) ٠

وكانت القضية الفلسطينية موضوعا لسلسلة من المقالات الافتتاحية ، ظهرت في جريدة "النذير" في مطلع عام ١٩٢٧ ، بقلم عميدها احمد قنبر ، الذي نبه الى المشكلة وحذر من الخطر ، ورأى أن المعركة قومية ، وأن الوطن العربي وحدة لا تتجزأ وأن الافكار العربية تتجمع في فلسطين(١٣) ٠

أما مجلة " الحديث " فابرزت البنود المتعلقة بفلسطين ، في مقررات المؤتمر النسائي الذي دعت اليه هدى شعراوي في منتصف كانون الاول ١٩٤٤ في القاهرة (١٤)، وايدت ما فيها من تأييد لحق الشعب الفلسطيني في دولة مستقلة ، ومطالبة بالعمل على وقف الهجرة ، ومنع تسرب الاراضي لليهود ، وبذل الدعم المادي والمعنوي العربي ، ونشر الدعاية في البلاد العربية للدفاع عن القضية(١٥) ٠

وأظهرت مجلة " الجامعة الاسلامية " رفض الجامعة العربية لهجرة اليهود الى فلسطين ، التي شجع عليها بيفن في بيانه الذي القاه في مجلس العموم البريطاني أواخر عام ١٩٤٥، كما احتجت مجلة " الضاد " على قرار لجنة التحقيق الامريكية البريطانية القاضي بادخال مائة ألف يهودي الى فلسطين ، وايدت الموقف العربي الرافض للقرار(١٦) ٠

وكان جزء مما تكتبه الصحافة العربية عن هذا الموضوع منصبا على التنبيه الى خطر الغزو الصهيوني الاستعماري والاقتصادي ، وتسربه من فلسطين الى الدول العربية المجاورة ، فقد دقت الصحف ناقوس الخطر ، وحذرت من دخول منتجات المعامل الصهيونية الى البلاد العربية وخصوصا لبنان(١٧) ، ودعت الى مقاطعتها ، طالما أن مايبتاعه العربي من البضائع الصهيونية يتحول الى أسلحة للأعداء (١٨)، وايدت قرارات المقاطعة العربية الهادفة الى مواجهة هذا الغزو(١٩) ، الذي لا يتهدد فلسطين وحدها ، بل يسعى الى ابتلاع

سوريا بكاملها ، وجعلها وطنا قوميا لليهود(٢٠) .

٢- فلسطين والانتداب البريطاني :

انتقدت الصحف العربية موقف بريطانيا المنتدبة على فلسطين ، الذي يدعم المؤامرة الصهيونية ويساندها ، ويسهل هجرة اليهود الى فلسطين ، ويضطهد العرب ويبطش بهم ، وكان وعد بلفور ٢-١١-١٩١٧ ذروة الدعم الذي قدمته بريطانيا الى اليهود ، وأصبحت ذكرى هذا الوعد السنوية ، مناسبة تتحدث فيها الصحف بألم واحتجاج عن دلالاته وآثاره ونتائجه ، مشيرة الى أنه ثمرة الدعم الذي قدمته بريطانيا للصهيونية العالمية (٢١) .

وهكذا فقد انصب حقد الصحافة العربية على الانكليز الذين كانت سياستهم في فلسطين سبب شقاء الشعب الفلسطيني المسلم ، ودعت الى وقفة عربية اسلامية في وجه هذه الاهانة الانكليزية ، لأن بريطانيا قد أهانت العرب جميعا بما تفعله بعرب حضر موت ، وبما تقدمه من دعم للصهيونية وتقوم به من قهر لشعب فلسطين العربي فلا بد اذن من وقفة عربية اسلامية ، تعبر عن مشاعر التضامن بين الشعوب العربية والاسلامية(٢٢) .

وقد قارنت جريدة " سورية الشمالية ة بين وضع سورية ولبنان في ظل الانتداب الفرنسي المجرد ، ووضع فلسطين في ظل الانتداب الانكليزي الصهيوني المزدوج ، ورأت أن سورية ولبنان أسعد حظا من فلسطين ، لأن انتدابهما لا تعمل فيه يد الصهيونية (٢٣).

انتقد محمد علي الكحال هذا الانتداب المزدوج على فلسطين ايضا ، لكنه لم يجد سورية أفضل حظا من فلسطين ، ففي فلسطين قوة واحدة منقسمة الى ضربين : بريطانيا والصهيونية ، أما سورية فسيصبح فيها - اذا تحقق اقتراح جريدة " الصباح " الفرنسية بنقل الوطن القومي الصهيوني الى سورية - ثلاث قوات : الارمن المهاجرون في الشمال ، والصهيونية في الجنوب ، والانتداب الفرنسي ، واعتبر الكحال الصهيونية سلاح بريطانيا ، والأرمن سلاح فرنسا ، للقضاء على الحياة العربية الاسلامية(٢٤) ، وربط في مقالته :" عاطفة الحق "(٢٥) بين أساليب بريطانيا في فلسطين ، وممارسات الاستعمار في بقاع أخرى من العالم ، واستشهد بفظائع ايطاليا في برقة ، وعدوان بريطانيا في الهند ومصر ، وضغط فرنسا في المغرب والجزائر وسورية ، لكنه اشاد بموقف بعض البريطانيين الذين أنصفوا العرب ، واعترفوا بحقوقهم ، وشجعوا انقاذ عرب فلسطين من الصهيونية .

كانت جريدة " الجهاد " أكثر عداء لبريطانيا من مجلة " الجامعة الاسلامية " فلقد أكثرت من التنديد بمواقفها المساعدة للصهيونية وانتقدت اغلاقها مجلة " الجامعة العربية " ومثلت بالتفصيل على وحشيتها واشتداد وطأة ظلمها وهمجيتها على عرب فلسطين(٢٧) ، ووصفت سياستها في فلسطين " بالحيرة والتراجع والمخادعة والتمويه"(٢٨)، وعبرت عن خيبة أملها في تراجع بريطانيا عن أخطائها ، رغم أن حكومتها اعتقدت بسخافة مشروع التقسيم ، واتهمت محطة الاذاعة العربية (دي فنتري) في لندن بالدجل السياسي، لما في أخبارها من التناقض والكذب والتضليل ، فبدل أن تذيع عبارات الصداقة وخدمة المصالح العربية ، وتعبر عن تبديل سياسة بريطانيا الظالمة اذا بها تذيع أنباء اضطهاد الشعب الفلسطيني وتسيء الى نضاله(٣٠) .

٣- فلسطين والغرب :

كان العرب الذين وضعوا كل ثقلهم لنصرة

قضية فلسطين يطمحون في الحصول على تأييد عالمي لكسب القضية في المحافل الدولية والاعلامية وقد احدثت محاولاتهم هذه آثارا متناقضة في الغرب ، كما أثارت مواقف الغرب ردود افعال مختلفة في الصحافة ، بين منتقد للغرب عموما ، لأن سياسة الانتداب البريطاني في فلسطين لها مثيل في كل مكان يمد الغرب اليه أصابعه الاستعمارية ، فالاستعمار واحد ، والمعركة ضده واحدة (٣١)، ومؤيد لما يصدر عن الغرب من مواقف ايجابية ، منتقد لمواقفه السلبية من القضية

ولعل موقف الامير شكيب ارسلان من أهم المواقف التي أثارت الجدل في الاربعينات ، فقد أولى الصحف الايطالية بتصريح اشاد فيه بموقف ايطاليا من قضية فلسطين ، واعترف بفضل موسوليني ، حين رفض مساعدة حاييم وايزمن في تطبيق البرنامج الصهيوني ، لأنه مجحف بحقوق العرب ، ونتيجة هذا التصريح ثارت ثائرة بعض الصحف العربية على ارسلان ، وفي مقدمتها جريدتا " صوت الاحرار " و " بيروت " اللبنانيتان ، لكن ارسلان أصر على موقفه ، وارسل رده الى أمهات الصحف المصرية واللبنانية ، ونشرت جريدة " الجهاد " دفاعه تحت عنوان " الامير شكيب ارسلان يرد على الحملات ، مبدؤنا شكر الحسنة أنى جاءت ، لا نزال نحبذ موقف ايطاليا من فظائع الانكليز في فلسطين "(٣٢) . وقد اتخذت تصريحات ارسلان ومواقفه آنئذ سببا لتشويه سمعته السياسية .

أضيفت أمريكا الى قائمة الدول الغربية التي وجه اليها الاتهام لمواقفها السلبية من قضية فلسطين ، فهي لا تقل عداء للعرب عن بريطانيا التي أعطت وعد بلفور ، ولذا فيجب ان تضاف الى انكلترا صهيونية جديدة هي أمريكا(٣٣) .

وتحدثت الصحافة العربية عن تناقض السياسة الامريكية بالنسبة لقضية فلسطين ، واتهمت الرئيسين تيودور روزفلت وهاري ترومان بخداع العرب(٣٤) ، وبمناسبة تصريح ترومان الذي يعطف فيه على اليهود ، ويعدهم بالمساعدة ، أبرزت الصحف نداء حبيب الله العبيدي (مفتي الموصل) الى السفارات الاجنبية والصحف العالمية لانقاذ فلسطين ونصرة قضيتها(٣٥) .

٤- آراء عن القضية الفلسطينية :

حفلت الصحف العربية بمقالات وفصول وبحوث تتضمن آراء وتحليلات وحلولا مقترحة للقضية الفلسطينية .

آ - عبد الحميد الجابري في مقالته : " بماذا تتخلص البلاد الاسلامية من الهوان ؟ " ، رأى لفلسطين وضعا مهما ، مرتبطا بشؤون غيرها من البلدان العربية والاسلامية ، فالأطماع الاستعمارية واحدة ، والداء واحد ، والدواء واحد ، أما أسباب استفحال الداء فهي : التخاذل ، ووهن الرابطتين القومية والدينية ، والانشغال بالملذات الوقتية عما يحفظ كيان الأمم وسعادتها(٣٦) .

ب - تبنت جريدة " الجهاد " مطالب اللجنة العربية العليا في فلسطين ، التي قدمتها الى لجنة الانتدابات الدائمة ووزارة المستعمرات البريطانية في ٢٣-٧-١٩٣٧ ، ردا على توصيات اللجنة الملكية وبيان الحكومة البريطانية ، وهي :

١- الاعتراف بحق العرب في استقلال بلادهم التام.

٢- العدول عن فكرة الوطن القومي اليهودي .

٣- إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ، واستبداله بمعاهدة تنشأ بموجبها دولة ذات سيادة في فلسطين .

٤- وقف الهجرة اليهودية وبيع الأراضي لليهود ، ريثما تتم المعاهدة ، مقابل ضمانات للمحافظة على الاماكن المقدسة ، وحماية الحقوق المشروعة لليهود

والاقليات الأخرى(٣٧) ٠

جـ - حلل محمد علي الطاهر في مقالته : " كارثة فلسطين ، نظرة في قرار اللجنة الملكية "(٣٨) ، الأجواء السياسية التي كانت سائدة عندما أصدرت اللجنة الملكية في ٨-٧-١٩٣٧ تقريرها القاضي بتقسيم فلسطين ٠

رأى الطاهر أن فلسطين كانت على حق في مقاطعة هذه اللجنة ، التي لم تكن تجهل حقيقة الأمر ، فعندها تقرير السيد توماس هيكوافت قاضي قضاة فلسطين الذي حقق في اسباب ثورة ١٩٢١ ، وتقرير لجنة شو البريطانية التي حققت في ثورة ١٩٢٩ ، وتقرير السير سمبسون هوب ، الذي أوفدته بريطانيا لدرس مسألة الأراضي ، الى تقارير أخرى ، كلها في صالح العرب ، لكن اللجنة الملكية أهملت هذه الحقائق ، ونفذت ما يناقضها ، مما سبب تلك الاضطرابات والثورات ، وجعل العرب يرفضون تقرير اللجنة ٠

وفند الطاهر الخريطة التي أذاعتها اللجنة لمشروع تقسيم فلسطين ، ونبه الى خطورة وجود دولة يهودية على حدود مصر الشرقية ، مذكرا بتزايد عدد اليهود في فلسطين برغم عنف الثورات التي قام بها الفلسطينيون ، وعظيم التضحيات التي بذلوها ٠

د - عرّب أمين هلال كتاب " مشروع اتفاق لأجل سلام دائم في فلسطين " ، للمستشرق الانكليزي نفيل بربور ، المذيل بصور مقالاته التي كان قد نشرها في جريدة " بريد فلسطين " ، وحلل هلال ماورد في الكتاب ، في مقال بعنوان "مستشرق كبير يبحث أطوار القضية الفلسطينية"(٣٩) ٠

يشرح بربور وجهتي نظر كل من العرب واليهود ، وتحدث عن فلسطين عبر التاريخ ، وعن فلسطين والعرب اليوم ، وبسط المشكلة الفلسطينية ، ثم اقترح الحل ، الذي يعترف لليهود بحقوق تاريخية في فلسطين ، ويعطيهم أكثر مما يعطي العرب ، ويثبت أقدام الصهيونية فيها ، ويبيح هجرة اليهود إليها ، ويربط تشريعها بالانتداب الانكليزي ، ويمكن له فيها ، حين يربط إنهاءه بقرار تتخذه اللجنة المشتركة العربية اليهودية بإجماع لا يمكن أن يتم ٠

أشاد هلال بالكاتب الذي حكم الانصاف ، واختط منهجا وسطا يرضي الخصمين ، في دفاعه عن العرب ، ورده على بعض خصومهم من اليهود والانكليز ، ورأى أن هذا الحل عادل يمكن تحقيقه ، اذا حسنت نية الطرفين ، بشرط أن يعترف العرب بحق اليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، ويسمحوا لهم بممارسة حقوق سياسية أكثر من المعتاد ، وأن يقلع اليهود عمليا ونظريا عن مطامعهم العنصرية وفكرة التفوق ٠

هـ - فارس الخوري ، رئيس الوفد البرلماني السوري الى مؤتمر البرلمانيين العرب الذي عقد في مصر في ٧-١٠-١٩٣٨ ، لبحث قضية فلسطين ، شرح وجهة نظره ونظر الحكومة السورية ، ونشرت مجلة " الحديث " رأيه تحت عنوان " " مصر والقضية الفلسطينية "(٤٠)، الذي يقوم على النقاط التالية :

١- ان كارثة فلسطين نبهت العرب الى وجوب الاتحاد والتضامن ٠

٢- ثبت لبريطانيا والصهيونية صعوبة تحقيق مشروعهما ، ولوحظت آثار التراجع التدريجي في موقف الوزارة البريطانية لصالح العرب ٠

٣- اقتنع الانكليز بأن العرب ليسوا مغالين في مطالبهم ، بل إنها دون حقوقهم ٠

٤- ان اليهود برغم مايلاقونه من اضطهاد في الغرب سيدركون حرج موقفهم ، وسيتنازلون عن مطامعهم ، ويكتفون بما قدمه العرب لهم في مؤتمر مصر ، وسيطلبون من بريطانيا ايجاد وطن آخر لهم في احدى مستعمراتها الكثيرة(٤١) ٠

و - ومن المهم أخيرا أن نتعرف الى الحقائق التي ذكرها نجيب صدقة ، عن قضية فلسطين(٤٢) ، باعتباره أحد الذين تخصصوا في البحث في هذه القضية وتطوراتها :

الحقيقة الاولى هي أن قضية فلسطين قضية حق واضحة بالنسبة للعرب ، وهي ليست معقدة الا في نظر اليهود والانكليز والامريكيين ، الذين تصرفوا بما ليس من حقهم التصرف به ٠

الحقيقة الواقعية الثانية هي أن القضية ليست قضية عرب فلسطين وحدهم ، بل هي قضية البلدان العربية بأجمعها ٠

يستنتج صدقه ان الصهيونية العالمية اذا نجحت في حربها الاستعمارية التي شنتها على الشرق العربي بكامله ، فستنتقل الى مناطق عربية أخرى ، فعلى العرب اذن أن يكونوا في حالة حرب دفاعية طويلة الأمد ضد الصهيونية ، لا دينية ولا عنصرية ٠

يعدد صدقة مراحل هذه الحرب ، فيرى ان العرب قد هزموا فيها جميعا ، الا في عامي ١٩٣٨-١٩٣٩ ، إذ حملوا بريطانيا على التنازل عن سياسة التقسيم ، واعتناق سياسة جديدة ، هي سياسة الكتاب الأبيض ، التي توقف الهجرة ، وتقيد بيع الاراضي ، وتعترف باستقلال فلسطين في ظل اكثرية عربية عالية ، وبعد هذا الانتصار الوحيد توالت الخسائر العربية ٠

اعتبر صدقة انشاء الجامعة العربية ، واستقلال بعض الاقطار العربية ، ومؤتمرات نصرة فلسطين ، انتصارات جزئية لم تؤثر التأثير الكافي في مجرى السياسة ، ورأى ضرورة اعادة النظر في أساليب الدفاع العربية ، ووضع أهداف عاجلة للسياسة العربية ٠

وهكذا نلاحظ من خلال ما سبق ان القضية الفلسطينية كانت في تأزم مستمر ، ولم تهدأ المقاومة العربية للمؤامرة الصهيونية الاستعمارية وخصوصا في أواخر الثلاثينات ، وكانت ثمة مناسبات سنوية تذكر بها وتحرض عليها ، ومنها وعد بلفور ٠

ثمة موضوعات حساسة في الازمة ، وهي الهجرة اليهودية ، وتسرب الارض ، والغزو الاقتصادي والثقافي الصهيوني ، والتوسع الاستعماري الصهيوني في الاقطار العربية ، مما يفرض قومية المعركة ٠

الارتباط واضح بين بريطانيا والمؤامرة الصهيونية ، والشعور العربي العام بانحيازها الى الصهيونية مستمر ، والتنديد بسياستها لم ينقطع٠

وقوع بعض العرب (بحسن نية) ضحية خداع الغرب لهم ، مما زين لهم الحلول التي خرج بها بعض المستشرقين الغربيين ، أو بعض الساسة الغربيين ، وهي حلول تبدو في ظاهرها منصفة ، لكنها تخفي انحيازا واضحا لليهود ٠

ربط العرب بين القضية الفلسطينية والاستعمار عموما ، ودخلت أمريكا كطرف معاد للعرب بانحيازها الى اليهود ٠

- كانت الرؤية الشعبية والحس الجماهيري أعمق وأبعد نظرا وأكثر احساسا بالخطر ، بينما بدت الرؤية الرسمية للقضية قاصرة ضعيفة مهادنة٠

د ٠ سهيل الملاذي

الحواشي :

---

* عدت في هذا البحث الى الصحف الصادرة في حلب كنموذج عن الصحافة العربية ٠

(١) " الجامعة الاسلامية "- ١-٥(٤-١٠-١٩٢٩)

(٢) " الجهاد " ٥-٦٣ (٥-١٢-١٩٣١) : ١٢

(٣) " الجامعة الاسلامية " ١-٥ (٤-١٠-١٩٢٩)

(٤) " الجهاد " ١١-٥٤١ (١٧-١-١٩٣٨) :٢

(٥) " الجامعة الاسلامية " ١٨-٢٢٤-٢٢٧ (نيسان

١٩٤٦) : ٤٤-٤٦
(٦) " الجامعة الاسلامية " ١٧-١٩٤-١٩٧
(١٥-٨١٩٤٥) : ١٣٥
(٧) تأليف فؤاد خليل مفرج : من العاملين في المكتب العربي القومي في دمشق ، وقد صدر في ١٨٧ ص ٠
(٨) " الجهاد " ١١-٥٣٦ (٥-١-١٩٣٨) : ١-٣
(٩) م ٠ س : ١
(١٠) " الجهاد " ٤-٣٢ (١٧-٩-١٩٣٠) : ٧
(١١) " الجهاد " ١٢-٦٥١ (١٢-١٠-١٩٣٨):١٠
(١٢) " الجهاد " ١٩-١٤١٩ (٢٢-١٠-١٩٤٥):١
(١٣) " النذير " (٨-١-١٩٣٧)
(١٤) " الحديث " ١٩-١-٢ (ك ٢ وشباط ١٩٤٥) ٧٤-٧٩
(١٥) م ٠ س :٧٩
(١٦) " الضاد " ١٦-٣-٤٠٣ (آذار ونيسان ١٩٤٦):٧٨
(١٧) " الجهاد " ١٨-١٣٥١(٢٧-٤-١٩٤٥):١
(١٨) " الجهاد " ١٩-١٤١٧(١٩)-١٠-١٩٤٥):١
(١٩) " النهضة " ٢٦-٣٩٥٠(١-٢-١٩٤٦):٢
(٢٠) " التقدم " (٢٩-١٠-١٩٣٠)
(٢١) " الجامعة الاسلامية " ١-٧(٢-١١-١٩٢٩)
(٢٢) " الجهاد " ١١-٥٨١(٢٧-٤-١٩٣٨):١
(٢٣) " سورية الشمالية " ٤-٢٢٢(٢٢-١-١٩٢٥):٢
(٢٤) " الجامعة الاسلامية " ٢-٢٥ (٢١-١١-١٩٣٠):١-٣
(٢٥) " الجامعة الاسلامية " ٦-٣٠ (٩-٥-١٩٣٤):١-٢
(٢٦) " الجهاد " ٤-٣٢ (١٧-٩-١٩٣٠) :٧
(٢٧) " الجهاد " ١١-٥٤٢ (١٩-١-١٩٣٨) :١
(٢٨) " الجهاد " ١١-٥٣٧ (٧-١-١٩٣٨) : ١
(٢٩) " الجهاد " ١١-٥٣٦ (٥-١-١٩٣٨):١
٣٠) " الجهاد " ١١-٥٤٠ (١٤-١-١٩٣٨):١
(٣١) " الجامعة الاسلامية " ٦-٣٠(٩-٥-١٩٣٤):١
(٣٢) " الجهاد " ١١-٥٤٥ (٢٦-١-١٩٣٨):١
(٣٣) " الجهاد " ١٢-٦٦٠ (٢-١١-١٩٣٨):١
(٣٤) " الجامعة الاسلامية " ١٧-١٩٨-٢٠١(٣-٩-١٩٤٥): ١٤١
(٣٥) " الجامعة الاسلامية " ١٧-٢٢٠-٢٠٥ (١١-١٠-١٩٤٥):١٥٢
(٣٦) " الجامعة الاسلامية " ١١-٤٧(١-٨-١٩٣٩): ٩٤
(٣٧) " الجهاد " ١١-٥٤٠ (١٤-١-١٩٣٨):١
(٣٨) " الحديث " ١١-٨(آب ١٩٣٧) : ٥٨٨-٥٩١
(٣٩) " الحديث " ١١-١ (ك ٢١٩٣٧) :٦١-٧٣
(٤٠) " الحديث " ١٣-١ (ك ٢ ١٩٣٩) :٢١-٢٥
(٤١) - م ٠ س : ٢٢-٢٣
(٤٢) " الحديث " ٢٠-٩(ايلول ١٩٤٦):٥٧٧-٥٨٩

جارتي وتحية الصَّباح

شعر: جابر خير بك

أطلَّ من الشباكِ بدرٌ وصبَّحا
ضحوكاً وفي الخدّينِ وردٌ تَفَتَّحا
فقلتُ : صباحُ الخيرِ واهتزَّ خافقٌ
كَواهُ الهوى بالبسمتينِ وجَرَّحا
تمايلَ خصرٌ ماسَ كالرُّمحِ قَدُّهُ
فزيّنَ في عيني الحياةَ ووشَّحا
وثغرٌ بأشهى العطرِ هاجَ به الصِّبا
وللحبِّ والأشواقِ طابَ ولوَّحا
وأرختْ على النهدينِ ليلَ جدائلٍ
تمرَّغ في أطيابِها الصبحُ والتحى
وبانَ من الصدرِ المنوّرِ نِصْفُهُ
تكوَّمَ فيهِ البدْرَ والشَّمسُ والضُّحى
فضجَّ من الاحناءِ قلبٌ متيَّمٌ
وصلّى على هذا الجَمالِ وسبَّحا

*** *** *** ***

أجارتيَ الحسناءَ جارُكِ مغرمٌ
وبالرُّغمِ أنِ العمرَ غابَ وصوَّحا
فكم طحنتني الغانياتُ ومزّقتْ
بألحاظِها قلبي كما تطحن الرَّحى

رماني الهوى سهماً من العينِ راشهُ
بهدبٍ وما أقسى الجفونَ وأملحا
وكنت طويتُ الحبَّ تحتَ جوانحي
وأغلقتُ قلبي فاستراحَ وروّحا
ولكن أتى من عالمِ الغيبِ فاتنٌ
فجدّد في حقلي الزهورَ وفوّحا

فلي وقفةٌ عند الصباحِ لعلّني
أرى خلفَ عينيكِ الرجاءَ المجنّحا
فلولاكِ ما عادَ الربيعُ لروضتي
ولا غنّى في دوحي الشبابُ وصدّحا
ولولاكِ ما اخضلَّ الهيامُ بخافقي
ولا استافَ من عطرِ الورودِ ولا صَحا
غفوتُ على الحُلمِ النديِّ وشاقنَي
الى الحسنِ ما أغرى الفؤادَ ورنّحا
حلمتُ به حتى اشتهيتُ وصالَهُ
ومهّدْتُ في صدري سريراً ومطرَحا
ورحت أبثُّ الوجدَ جهرًا وأشتكي
صبابةَ ما لاقى المحبُّ وما لَحى
وبادلتُها الأشواقَ والبسمةَ التّي
تنمُّ بما أَخْفى الضّميرُ وما نَحا
وقلتُ لها يا جارة القلبِ إنّني
قتيلُ الهوى ، هل ترحمينَ المُلوَّحا ؟
وهل تَترُكين الصبَّ حيرانَ هائماً
تقلَّبَ في جمرِ الهوى وتطوّحا
نظمتُ لعينيكِ القصائدَ كي أرى
صداها وكي ألقى الجزاءَ وأُمْنَحا

وأصفيتكِ الودَّ المبرَّحَ والهوى
وأعذبُ حبٍّ ما أمضَّ وبرَّحا
فرقَّتْ وأرخَتْ للعنانِ شكيمةً
وعانقَ قلبي قلبهَا وتصافحا
وما عابني أنّي رجعتُ الى الصبا
فهل ذاقَ طعمَ الحبِّ من خافَ واستحى؟

١٩٩٢



تأملات في الدين الإسلامي

لواء سلامة

آ - لقد بات في حكم المؤكد ، القول أن الدين بكل تجلياته - أصولا - ظاهرة كونية كبرى على امتداد التأريخ الانساني ، ذات مصدر الهي عظيم، تتسم الشمول والديمومة - وهذا - سر خلودها - اتجاه حركة الزمن ، وازاء تعاقبة الأجيال ، وتبدلات وتائر الحياة بثوابتها ومعطياتها ، فضلا عن ديناميكية تأثيره - أي الدين - إزاء المجالات الحيوية الآنفة ، بمختلف حاجاتها ، ومقتضيات تطورها ، وكون الدين - بخصوصيته الاسلامية - هو خطاب الله الأعظم (جل جلاله) وخيار المؤمن " ايديولوجيا ة ، لم يقتصر على الجانب "العبادي" بطروحاته ومباحثه ، انما احتوى على جانب كبير من مسارات رحابه ، لقضايا ومسائل ذات شأن صميمي باهتمامات العقل البشري ، بكل مراحل تطوره ، ونمو منهجية متكاملة استحوذت على اهتمامه ، واسترعت انتباهه بنفوذها للأعماق ، وتوسعها في الامتداد ، فأصبحت مصدر تأمله ، وقوام تفكيره ، ومنطلقه المعرفي ، وتشريعه العام ، وهنا تبرز معالم تكامل المعادلة - الطرح والاستجابة بين الفطرة السليمة، والهداية القويمة ·

ومن البديهي الاقرار عند كل مؤمن ، ولدى كل باحث مخلص ذو اهتمام بالعلوم الدينية، من ان الدين الاسلامي ينكر الخرافة ، وينفر من النزعة اللاعقلانية ، ويرفض الطلاسم وكل ماينافي العقل ، وهو يركز في مجمل طروحاته ، على العلم المؤسس على البرهان والدليل، في الرؤية والتجربة ، وفي القرآن الكريم ، والحديث الشريف مواضع عدة واشارات عديدة تؤكد على ضرورة وحيوية اعتبار العلم وجهد العلماء حتى غدا العلم في كل معطياته الاكتشافية في المحيط المادي ، الكوني - دعوة مدوية للايمان بالله الواحد ، ومطلبا للعزوف عن الشك ، وسعيا مضاعف لاجلاء الحقائق ، التي سبق الخطاب الالهي بيقيناته ، أن اشار اليها كما ونوعا ، وأهاب بتبصرها وتأمل خلقها موعظمته في انجازها وابداعها ، وصولا الى الايمان بالخالق الحق ·

وان العبادة ذات مكانة رئيسية في الخطاب الالهي ، وهي الاساس في الايمان بالخالق بدءا ، فكانت ترمي بكل أوامرها ونواهيها الى تطهير النفس ، من الاشراك والضلال والكفر والحث على العمل الصالح ، ثوابا في الدنيا والاخرة ، وتهيأة الفرد ، واعداد المجتمع ، على أساس الايمان والصلاح ، وهي دعوة أيضا الى تقويم توحيد المطلق الاوخد ، وعبادته يقينا وايمانا ·

" كذلك يبين لكم آياته لعلكم تعقلون " ·

ب - الدين والعلم والاجتهاد :

عندما واجهت الأمة العربية الاسلامية ، الحضارة الغربية ، وهي حضارة علمية أولا وقبل أي شيء، انبرى جماعة من المجددين لهذه

المواجهة ، وحددوا لنا أبعادها وميادينها ، مفكرين بشكل قاطع افتعال صراع أو قيام أية مواجهة بين العلم والدين ، وسندهم في ذلك تبلور من خلال فهمهم المنطقي ونظرتهم الموضوعية للدين ، فقالوا: ان القرآن الكريم والعلم يلتقيان من حيث ان العلم ليس الا القوانين والنظريات التي تعرف في القرآن الكريم (بسنة الله في خلقه)وان العلم إنما يكتشف هذه السنة ويبينها للناس على أنها قوانين علمية ٠

إن وضع الدين في مواجهة العلم مشورة تطرف ، ورؤية انغلاقية ، وتوجه مرفوض عقلا وشرعا ، وفيما يرى انه ليس هناك أي تعارض او انقطاع في الاسلام بين تعاليمه الكبرى ، وبين دعوته للنظر العقلي وأعمال الفكر في أمور الحياة عبر إقامة توازن متناغم بين روح التعاليم ، وصالح الجماعة من ناحية النفع العام ، ولذلك كان الاجتهاد ، الدعامة الثالثة ، والرافد الحيوي للتشريع الاسلامي ، فمن الناحية العلمية كان الرسول (ص) ، يجتهد في الامور التي لم يسعفه " الوحي " بشأنها ، والخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، بما يتماشى وظروف وحاجات المجتمع الجديد ، بعد حركة الفتوحات الكبرى بل انه قد تجاوز بعض النصوص أحيانا ، لصالح حاجات الجماعة ، وليس أدل على ذلك ، موقفه بالنسبة لأراضي الفيىء ، فلقد أوقفها لصالح المسلمين ، ولم يقسمها بين الجند خشية ان تتكون طبقة اقطاعية جديدة ؟!! ٠٠ ومن هنا تجدر الاشارة الى خطأ المواجهة ، او افتعال الصراع ، أو نصب الحواجز بين الدين والعلم والاجتهاد ، متبصرين الاشارات التالية :

في القرآن الكريم قول الباري عز وجل :
" وما أوتيتم من العلم الا قليلا " -٢-
" وقل ربي زدني علما " -٣-
" وفوق كل ذي علم عليم " -٤-

وفي الحديث الشريف قول النبي (ص) :
" اطلبوا العلم ولو بالصين ، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب " -٥-
" أطلبوا العلم ولو بالصين ، فإن العلم فريضة على كل مسلم " -٦-

فهناك أشياء كثيرة متروكة للعقل البشري، وأخرى لم تترك لهذا العقل ، وان الاشياء التي تركت للعقل هي تلك القضايا والمسائل التي أمر الله نبيه المصطفى (ص) أن يأخذ فيها راي أصحابه ، ويستشيرهم فيها منذ أبان له القرآن الكريم ، " فإذا عزمت فتوكل على الله " -٧- ٠

أي قم يا محمد (ص) بتنفيذ الأمر ، ولا تنتظر حكما شرعيا ينزل من السماء ؟!! في حين لم يترك للعقل البشري هي تلك المسائل المتصلة بالمعتقدات العظمى ، والغيبيات ، وليس يخفى ، أن العقل بمحدوديته ، يعجز عن الوصول او الخوض في هذه المسائل ٠

ان قضايا ومشكلات وحاجات وضرورات الحياة الدنيا - المحيط المادي - هي التي تركت لهذا العقل ، فإن لم تتوفر أحكامها فهي كل اجتهاد ، وان وجدته ، فالقاعدة تقول انه لا اجتهاد مع النص - عند وجوده - ٠

جـ - الدين والتراث والثقافة :

لا بد من تأكيد حالة راهنة تتسم بالخطورة ، ألا وهي " اغترابنا " عن ثقافتنا العربية الاسلامية ، والجنوح نحو " المستوردات " الضالة ، والتنكر للقيمة الانجازية لعلمائنا ومفكرينا تاريخا وتراثا ، حتى غدونا في موقف الضائع من حيث " الهوية " وافلاس " الرصيد " انتماء وفكرا وثقافة ، جراء تجاهل الاصول - الكنوز - والتنكر للقيم الذاتية - القومية - اذ من اللامعقول منطقيا

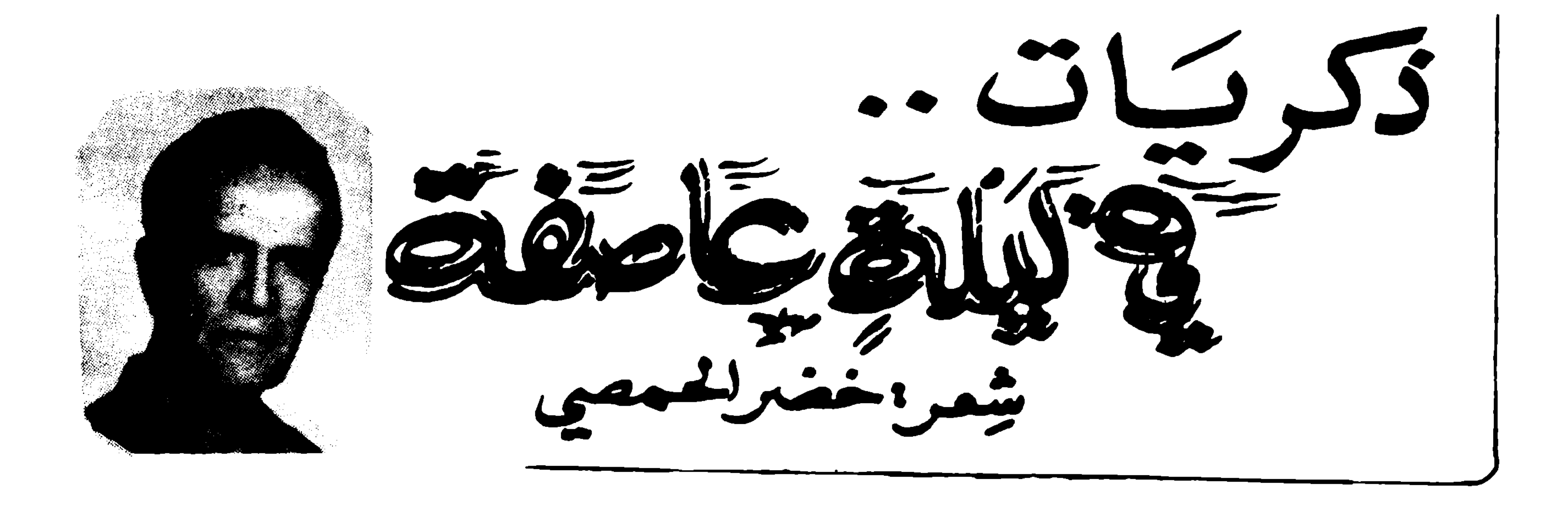
ان يتنكر المرء لتاريخه ولتراثه ، ويلهث نحو الاخر بما لا يتلائم او ينسجم وتكوينه العام ، والاحرى به اعتماد " التوازن " منطقيا بالتعبئة الذاتية - الأصول - والتعاطي بدقة وتمحيص مع " الاخر " بالاطلاع والاستفادة من تجربته ، فمن شأن هذه الثنائية المتوازنة - الذات والاخر - ان تكون مدخلا آمنا في مواكبة العصر والانفتاح على جديده ، والتعامل مع معطياته بثقة وجدارة ، ومن شأن هذه الثنائية ، " تذويب " عوامل تكريس " الانفصال والمناعة عن التواصل مع الثقافات العالمية بكل مذاهبها ومدارسها وتياراتها ، بتحرير ذواتنا من الانطواء ، والانغلاق ونحن امام مسؤولية كبيرة أمام التاريخ والمستقبل إزاء هذا " الجمود " السلبي فلقد أوجد الانفصال عن المتابعة بالاطلاع والمساهمة برصيد الذات ، بعض التناقضات ، في فهم وتحليل النظرة الى " التراث " على أنها مقدسة وثابتة ، فالدين نفسه متطور ، من حيث منهجه وتبره ، وحسن التقاط وتحليل مدلولاته ، فكيف اذا بتراثنا المحفوظ ، الممنوع من التجديد والتطوير - أحيانا - عبر التحقق والتصويب ازاء بعض المشهور منه ، فمن المعروف ان التراث انما هو نتاج العقل بما أبدع وأنجز وحث في مراحل التاريخ الغابر والأجيال الماضية ، اذ فيه الصحيح والخطأ ، واليقين والخرافي ، الأصيل والدخيل ، وغير ذلك - ونحن مدعوون ،- كعرب - مثقفين وباحثين الى التحقق والحذر ، من الانزلاق في كائن الدخيل والمدسوس ، عبر اجلاء الحقائق واليقينيات وأكثر الدعوة إلحاحا هو اختيار الصالح والموافق من تراثنا ، الذي يكون دعما للمستقبل فحسب ولا يشدنا الى الوراء أو يحد من قدرتنا على التفكير في المسقبل بما يفتحه العقل من آفاق جديدة ، فمن المعروف ان تراث أية أمة هو حضارتها ، والحضارة انما هي مجموع الانجازات التي يحققها مجتمع معين خلال فترة زمنية معينة، تعكس تطوره من الناحية الثقافية والفنية الابداعية كما تعكس وعي تفكيره ، وطرائق فنونه وذوقه وروحه ٠

ان النظرة الموضوعية والتقييم التحليلي كفيلان بالاطاحة بالنظرة المقدسة الموروثة والعصمة العمياء ؟ ازاء تراثنا الزاخر بالكنوز والنفائس ٠

د - الدين والضمير الديني والمجتمع :

هناك جدلية بين الايمان الديني ، والضمير الداخلي - للفرد - أو الرقيب الداخلي ، والضمير الديني يختلف عن الوجدانيات الاخرى ويمتاز بخصوصية تعكس يقين الايمان وصلابته ، تلك الخصوصية تتجلى في السلوك المعلن والسري في الممارسة اليومية - للفرد - إزاء خالقه وإزاء بني جنسه وازاء ذاته وسائر مشاغله ، وهذا محك صدق الايمان أو عدمه ، ولبناء مجتمع متكامل لا بد من ربط العقل بالضمير الديني ، وبيان ترابطهما ، اذ هناك من يرى بالفصل بينهما خطأ وجهلا ، والبعض الاخر يريد تقييد حرية العقل - لا يفهم من نقدنا هذا الدعوة للابتعاد عن الاصول والضوابط لا سمح الله - ويبررون ذلك بقولهم : أن أعمال العقل والفكر هو وسيلة بناء المستقبل وتطوير الحياة تتطلب جهدا ولا تستلزم وجدانا !! هذا الطرح السطحي والمغالط يتعامل مع الشكل والنتيجة دون تحسس تفاعلات الداخل بل على العكس نجد أن الانسان المؤمن يتحسب من الوقوع في مخالب الاثم وكمائن الحرام من خلال اليقظة التي يولدها الضمير الديني المستمد وظيفته الايحائية من الضوابط والمنهيات التي حددها الشرع فكانت انغراساتها عميقة وسريعة البتة بالزجر والردع بصيغة تأنيب الضمير والوجع الوجداني ، ومتى فقد الوجدان او الضمير الديني من تركيب أي فرد حدثت الكارثة !! ومتى فصل بين العقل والوجدان اصبحت الامور محط تبرير ٠

لواء سلامة



الحياة

أترع الكأس من رضاب العذارى ... يا نديم الشراب ضاع السكارى

هل على الثغر من بقايا الليالي ؟ ... نهلة تسعد القلوب الحيارى

أفل الليل بعد صمت مهيب ... واستفاق الحنين وقدا مثارا

وزها الصبح بالجمال فلولا ... بارق النور ما عرفت النهارا

ليلة نور الضياء دجاها ... فاستزادت من الضياء نضارا

والمصابيح شعشعت في الزوايا ... تنثر الضوء يمنة ويسارا

وسلاف الخمور في كل كأس ... أورقت في الخدود نورا ونارا

كل ثغر إذا تبسم ندى ... برعما زاده الجمال افترارا

كم تشهيت لفتة من عيون ؟ ... فجر الحسن في مداها بحارا

زرقة تبعث الفتون وموج ... راعش الخطو يستبيح القرارا

أغصون تسامقت مثل حور ؟ ... أم قدود تخاصر السمارا ؟

يا شموخ النهود في كل صدر ... يرقص النهد في الشموخ انتصارا

وكؤوس الشراب فوق شفاه ... هالها اللمس فاستحالت أوارا

ليله كالخيال فيها تغني ... قيصر الروم ، والرشيد استجارا

غرس الحسن في مداها جنانا ... فتسامت على الجنان افتخارا

ذكريات

مرت الذكريات فهي نسيج ... من سدى الدمع يغرق الابصارا
فرأيت المواكب السمر تحدو ... والاهازيج تملأ الامصارا
تخذت من سنا الخلود مسارا ... افبعد الخلود تلقى مسارا ؟
ذكرتني بمن مع الامس مروا ... رفدوا الكون بالعلوم فثارا
مر بي يا حديث تلك البوادي ... وتكلم فلن أطيق انتظارا
قد زها الكون من خطانا علوا ... فأعد يا زمان عصرا توارى

رؤيا

ثمل الكأس يا امرأ القيس فانهل ... جرعة الراح من شفاه العذارى
يالها من رؤى الجمال عليها ... ناعم الطيب للشفاه أشارا
اين قيس ؟ وعزة ؟ وجميل ؟ ... وابن زيدون ؟ يعزف الأوتارا
تلك ليلى بدلها السمح ترنو ... زادها الحسن والعفاف وقارا
أين هند ؟ وقد تباهت بسحر ... جمل الكون فتنة وانبهارا
والنواسي ؟ يرشف الخمر صرفا ... مترف الحس ينظم الأشعارا
يترع الكأس من رضاب الغواني ... ان للكأس قوة لا تجارى
كل شعر أتى بغير احتراق ... بدعة تملأ القلوب انكسارا
والصدى آه من ينادي بصوت ؟ ... حالم الهمس يكشف الاسرارا

وضوح

أين شوقي ؟ وحافظ ؟ اين رامي ؟ ... أين من صوروا الوجودا منارا ؟
أين في سدة الاباء أمير ؟ ... بدوي يقارع الاقدارا
جاء من شاهق الجبال فغنى ... وتغنى الى الوجود وسارا
نهب النور من عيون الليالي ... ثم نضى عن العيون الستارا

ـر لو سالت عنه المغاني ؟ … أوسع الشرق بالاغاني انتشارا

خضبت كل مقلة حين أغفى … ورنا الناس للمصاب حيارى

قد ابى الشعر أن يزف عليلا … يرفض الشعر ان يعاني احتضارا

أنا صليت للأماني تجلت … بين عيني قدرة واقتدارا

فوشمت الزمان أحلى قصيد … ثم قارعت في الغناء الهزارا

حزن

يا رماح السنين غلي بصدري … عل نزف الدماء يروي الصحارا

واعزفي يا رمال أحلى الاغاني … أخصب القلب بالهوى واستنارا

كل روض بلا غناء جديب … يا دموعي تقطري مدرارا

هذه أرضنا على الشعر ثكلى … أجمل الشعر في ثراها توارى

قد تهاوت مواكب النور خجلى … وتمادى الدخيل فيها وثارا

أي حزن على مشارف نفسي ؟ … أنا أخشى على التراث اندثارا

من ترى ؟ ناء بالقوافي فسلها ؟ … أدب العرب لن يكون اختصارا

سنعيد الخلود للشعر لا نرثيـ … ـه بل نقتفي به الآثارا

منكب الغيم قد ركبنا زمانا … لا تريد البناء صرحا معارا

إنما بالقريض نحيي المعالي … وجدير ان نحسن الاختيارا

فخر

يأنف المجد أن يرانا صغارا … نحن للمجد قد دفعنا الصغارا

كم درجنا على الاباء زمانا ؟ … ونصبنا الى العلوم منارا

وسلكنا مع النجوم دروبا … ورفعنا على الدروب شعارا

لغة ضمت العروبة شرعا … كم مشينا بظلها استكبارا

نداء

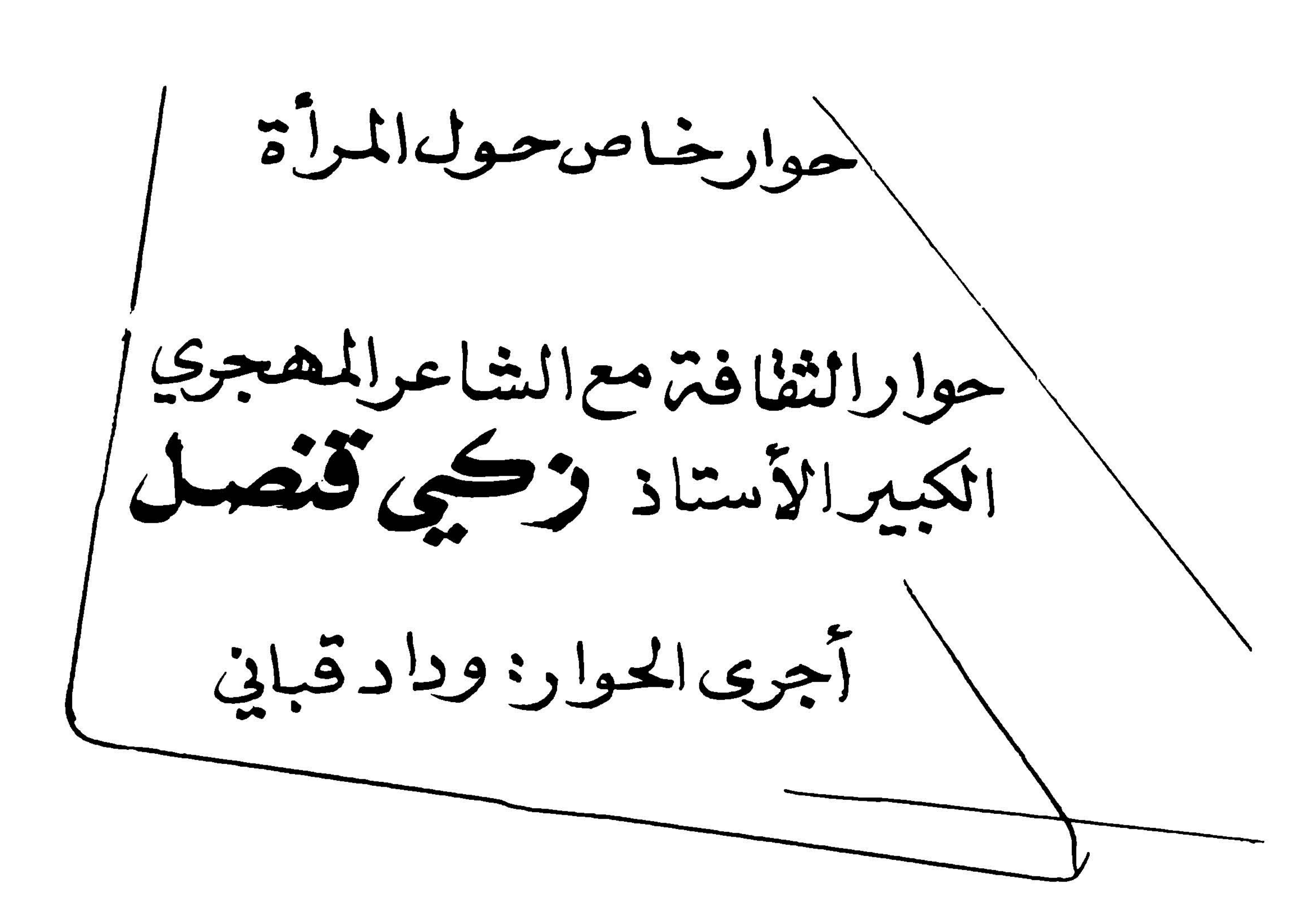
يا رياح الصحراء تيهي علوا — وانفضي عن سنا العيون الغبارا
ملكك الساح ان أردت المعالي — فاهدمي السد حطمي الاسوارا
كل قلب على هواك تردى — في ثرى الأرض يحضن الازهارا
يا بلادي وأنت وقد بروحي — فارشفي من دمي وروي الديارا !!
شرف المجد أن نعبد دربا — بالضحايا وان نقول جهارا
الحضارات من عظائم شعب — وعظيم الرجال يأبى الصغارا
هل يرد البكاء ملكا مضاعا — لا يرد الضياع الا الغيارى
هذه الأرض أمنا مذ خلقنا — سوف نبقي على المدى احرارا

المواضيع التي ترسل للمجلة تصبح ملكا للمجلة سواء نشرت أم لا ٠

كتب جديدة

أصدرت دار كرم بدمشق سلسلة تثقيفية مبسطة تضاف الى مكتبة اليافعين ، أسمتها " :
" سلسلة عظماء الاسلام " صدر منها حتى الآن ثلاثون عددا ، من عناوين السلسلة نذكر لكم :
محمد سيد البشر- الخلفاء الراشدون (١ - ٢ -٣ - ٤) - الحسن والحسين - عمر بن عبد العزيز - خالد بن الوليد - بلال مؤذن الرسول - أبو ذر الغفاري - صلاح الدين الايوبي - جعفر بن أبي طالب - زوجات الرسول (١-٢) - فاطمة الزهراء - السيدة زينب ٠٠ الخ ٠٠

نقرأ فيها المثل الصالح في الطهر والتضحية، في الرجولة والبطولة ، كما نقرأ فيها حثا على المحبة والتعاون والايثار ، باختصار هي مجموعة جدير بنا اقتنائها لتكون في مكتبة أطفالنا الأحبة ليكونوا خير خلف لخير سلف ٠



في حوارات الثقافة السابقة مع لفيف من الادباء والاديبات حول المرأة قدمنا نماذج لآراء عدة ·

والآن تأخذنا الأشواق نحو أهلنا في مهاجرهم الاميركية ، لنطلع على تأثير هذه الثقافة الجديدة الغربية - الاميريكية على فكرهم وسلوكهم ونظرتهم الى الحياة والمجتمع بما فيه المرأة كعنصر اساسي فيه ·

وفي الزيارة الاخيرة التي قام بها الشاعر المغترب الاستاذ زكي قنصل الى الوطن الام " سورية " طرحت عليه الاديبة وداد قباني بعض الاسئلة التي تدور حول المرأة نوردها فيما يلي مع أجوبة الشاعر ·

" الثقافة "



الأديبة وداد قباني

• زكي قنصل من مواليد ١٩١٦ في مدينة كوردبا في الارجنتين وهو ثالث اخوته الثمانية وانتقل سنة ١٩٢٢ الى يبرود (سورية) مسقط رأس والديه حيث تلقى اولى مبادئ القراءة والكتابة .

• ترك المدرسة سنة ١٩٢٥ ليساعد والده في العمل لكسب الرزق وهاجر في أواسط سنة ١٩٢٩ مع والده الى البرازيل ومنها الى الارجنتين .

• عمل في عدة أعمال تدرج فيها من بائع كشة الى محرر في الجريدة السورية اللبنانية في بونس ايرس حيث كان أخوه الياس قد سبقه اليها رئيسا للتحرير .

• اهتم بالمطالعة وبالشعر خاصة وانضم الى رابطة أدباء الارجنتين حيث كان من مؤسسي الرابطة

• زار الوطن الام سورية في عام ١٩٦٨ بعد غيبة دامت ثمانية وثلاثين عاما . ثم زار الوطن للمرة الثانية عام ١٩٨٤ حيث حظي بالتكريم والترحاب من قبل الاوساط الرسمية والمراكز الثقافية الادبية كما حظي بمقابلة السيد رئيس الجمهورية حافظ الاسد في ٢٢-٧-١٩٨٤ وكانت زيارته الثالثة للوطن في تشرين الاول من عام ١٩٨٦ . أما الزيارة الرابعة فقد كانت في كانون الاول ١٩٩١ وفي هذه الزيارة ايضا قوبل بالحفاوة والتكريم وقد استقبله السيد الرئيس حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية ونقل لسيادته مشاعر وعواطف واحترام المغتربين العرب وشكرهم العميق للاهتمام الكبير الذي يوليه السيد الرئيس لقضاياهم .

• حاز على عدد من الجوائز منها جائزة ابن زيدون للشعر عام ١٩٨٩ وجائزة جبران خليل جبران الأدبية العالمية لعام ١٩٩١ من قبل رابطة احياء التراث العربي في استراليا .

مؤلفاته



الشاعر زكي قنصل

١ - شظايا ١٩٣٩ (باكورة مؤلفاته الشعرية)
٢- الثورة السورية ١٩٣٩ (مسرحية نثرية)
٣- سعاد ١٩٥٣ (أناشيد في رثاء ابنته سعاد)
٤- تحت سماء الاندلس ١٩٦٥ (مسرحية نثرية)
٥- نور ونار ١٩٧٢ الجزء الاول
٦- المتنبي في ذكراه الاربعين بعد الالف ايار ١٩٧٩
٧ - ألوان وألحان ١٩٨٧
٨- هواجس (سداسيات شعرية ١٩٨١
٩- عطش وجوع ١٩٧٤
١٠- في متاهات الطريق ١٩٨٤
١١- المجموعة الكاملة لشعر زكي الجزء الاول ١٩٨٦ - وزارة الثقافة
١٢- سداسية الوطن المحتل - دار مجلة الثقافة ١٩٩١

س : هل لك أن تقدم نفسك بالطريقة التي تحلو لك ؟

ج : هاجرت الى الارجنتين في الثالثة عشرة من عمري ، وكانت دراستي لا تتعدى الصفوف الابتدائية . وفي الارجنتين تعاطيت عدة أعمال متواضعة فمن بائع متجول الى خادم مطعم الى معاون نجار الى بائع صحف الى ماسح أحذية ، وكنت في جميع هذه الاعمال استرق ساعات من وقتي للمطالعة . كنت أقرأ كل ما تصل اليه يدي من شعر او نثر لا فرق بين جريدة أو مجلة أو كتاب . وقد استهواني الشعر المهجري بشكل خاص لأني كنت أجد فيه تعبيرا عن كل مايخالج نفسي من خواطر وهواجس وأحاسيس . كان الشاعر القروي هو مثلي الاعلى حتى لقد كنت أحفظ معظم انتاجه عن ظهر قلب ثم اكتشفت الياس فرحات وبعده شفيق معلوف فكان هذا الثالوث هو الذي فتح أمامي الطريق الى عالم الشعر ثم تعرفت الى ايليا أبو ماضي فبهرني بشاعريته الرائعة وجناحيه القويين فاقبلت على مطالعته بلذة لا عادلها لذة ونهم لا يشبع ، ثم اهتديت الى شوقي فاستحوذ على لبي بسعة معانيه وجزالة مبانيه وما في شعره من صور وآيات خالدة . وما دمنا في حديث الشعر فلنقل أني لست ضد الجديد كما يتوهم البعض ، بل ضد التفاهة والتعمية والتضليل واستخراج الارانب ، كما قلت مرارا - من الاكمام . الحداثة في شرعي لا تتنافى مع الجمال ، واذا كان شعر نزار القباني وفدوى طوقان من الحديث فأنا معه على طول الخط اما اذا عدت هلوسات أنسي الحاج ويوسف الخال وأدونيس واضرابهم شعرا حديثا فأنا منه بريء وليشهد الثقلان اني منه بريء .

س : أستاذ زكي .. المرأة العربية تبدو ضائعة تطمح الى أن تكون شيئا والى أن تقدم شيئا لكن بين الطموح والواقع تبقى فجوة ، وهذه الفجوة واسعة بالنسبة الى المرأة فكيف تقيم جسرا بين طرفيها يربط بين طموحها وواقعها ؟

ج : المرأة العربية سائرة الى غايتها في الطريق السليم ، فهي تأخذ بمبدأ خذ وطالب ، وهذه السياسة أظهرت فوائدها على جميع الاصعدة . قابلي بين وضع المرأة اليوم ووضعها منذ عشر سنوات فقط تجدي كم هو واسع الشوط الذي قطعته الى تحقيق أهدافها . ان اعمار الشعوب تقاس بالاجيال ان لم أقل بالقرون فلماذا العجلة ؟ ألم تسمعي ما قال الشاعر :

ومن أخذ البلاد بغير حرب
يهون عليه تسليم البلاد

ولا يعني هذا أني ضد مساعي المرأة للوصول الى كامل حقوقها ، ولكني أرى ألا تتسرع كما فعلت المرأة الغربية فتضيع بين الذكورة والأنوثة ، ان الجسر الذي يربط بين طموح المرأة وواقعها هو أن تواصل كفاحها في هذا السبيل بدون هوادة - ولكن بلا صلف - دون أن تعتبر الرجل عدوا لها ان مثل هذا الشعور يسيء اليه واليها على السواء ولا أكتمك يا عزيزتي أني ضد التفريق بين المرأة والرجل ، فكلاهما كل لا يتجزأ ، ما يلحق بالواحد يلحق بالآخر ، ومتى انقسمت الامة على نفسها فهناك البكاء وصرير الانسان . أنا لا أستطيع أن أتصور رجلا سعيدا تعيش الى جانبه امرأة تعيسة والعكس صحيح .

س ٢: باعتقادك هل يجب ان تكون المرأة مساوية للرجل في كل الامور بلا استثناء ام لك آراء معينة حول الموضوع ؟

ج : هناك فروق سطحية بين المرأة والرجل يجب أخذها بعين الاعتبار ، أقتضتها طبيعة التكوين الجسدي لكل منهما ولا أدري ماذا يسمون ذلك في المصطلحات العلمية ، ولعل هذا التباين هو في

صالح المرأة أكثر مما هو في صالح الرجل ، ان الامومة مثلا مدعاة لسعادة لا تعادلها سعادة والرجل لا يستطيع ان يستوعبها ويتمتع بها كما هو شان المرأة ٠

س ٤ : يقول أحد الفلاسفة : ان تحرر أي مجتمع يقاس بمدى تحرر المرأة فيه وتوسيع حريات النساء هو المبدأ العام لكل تقدم اجتماعي فكلما نالت المرأة المزيد من حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية كلما قطع المجتمع شوطا في طريق تحرره وتقدمه ٠٠ مارأيك بهذه المقولة وكيف ينظر الاستاذ الشاعر زكي قنصل الى هذه المقولة ؟

ج لا أعرف من هو هذا الفيلسوف ، ولكن لا تعتدي كثيرا بأقوال الفلاسفة ، فهناك ألف فيلسوف وفيلسوف يناقضونه ويسفهون رأيه ٠ وهذا لا يعني أنهم على حق ٠ صحيح وألف صحيح أن تطور المجتمع يقاس بتطور المرأة فيه ولكن هذا لا يجب أن يقودنا الى الطفرة وتخطي الحدود المعقولة ٠ يجب على كل مجتمع - وبخاصة مجتمعنا - ان يتحرر من عقدة الظالم والمظلوم ، والغالب والمغلوب ، ففي النساء - كما في الرجال أديبات ومفكرات وشاعرات وقائدات دول يضارعن الرجال ، ان لم يفقنهم في أكثر مجالات الحياة ، يكفي أن نذكر على سبيل المثال نهاد شبوع وكوليت خوري ووداد قباني وسعاد الصباح في عالم الادب وحنان شعراوي وبشرى كنفاني في دنيا السياسة ٠

س ٥ : قال شوبنهور المرأة لا تصلح الا لحفظ النسل وتدوير الساعة وغسل الصحون ٠ وقال نيتشة لقد خلق الرجل للحرب والقتال واما المرأة فانه ليس من شيء سوى الحب والطفل ، وتبعا لذلك فان سعادة الرجل هي انا أريد وسعادة المرأة هي : هو يريد ٠٠ وقال جان جاك روسو ان الرجل فطر بالطبيعة للحياة الخارجية بينما المرأة مكانها داخل الاسرة والمفروض في تربيتها ان تتعهدها بالرعاية لكي تكون السند المعنوي للرجل وخادمته دون ان يكون لها ارادة خاصة بها ٠٠ ان هذه الاقوال وكثير على شاكلتها تقوم على أساس التمييز بين الرجل والمرأة ، ما رايك بهذه الاقوال والى أي حد تنطبق على واقع المرأة العربية ؟ وهل هناك جناح أمل يمكن للمرأة ان تغير به مسار الواقع ؟

ج : قلت لك لا تؤخذي بأقوال بعض المفكرين والفلاسفة ، فهل رأيت اني لم أخطىء ولم أتجن ؟ ان شوبنهور واضرابه يخالفون قول " أحد الفلاسفة " في الظاهر ولكنهم يلتقون عند نقطة واحدة ، هي تعميق الهوة بين الرجل والمرأة ٠ فانصحك وأنصح كل امرأة في الشرق العربي ألا تنساق مع هذه " الفلسفات " التي لا تقود الى مافيه الخير ، لا وقت عندي لتفنيد كل عبارة أو رأي من آراء هؤلاء السادة ولكني أكرر أن المرأة والرجل جناحان لطائر - هو المجتمع - لا يستطيع ان ينهض بأحدهما دون الآخر ٠

س ٦ : ينظم قانون الاحوال الشخصية مجموعة من الانظمة والقوانين تحدد وضع المرأة في الاسرة وعلاقاتها بالرجل مثل تقييد حريتها في طلب الطلاق وحرية الرجل في الزواج بأكثر من واحدة ، هل تعتقد ان هذه القوانين بحاجة الى تعديل ؟

ج : هذا موضوع أجهله ، فليس لي أي رأي ٠

س ٧ : تقول احدى النساء: ان دونية المرأة منقوشة في اللغة ، فالطاقة والابداع والخلق مرادفة للرجولة ، والنبل فضيلة مذكرة في المقام الاول ، وحين تكون امرأة موهوبة جدا يكال لها المديح والثناء بتشبيهها بالرجل ، هل توافق على هذا الكلام ؟ وماذا تعني لك كلمة امرأة بالمعنى المطلق ٠٠؟

ج : وهذه السيدة ايضا على جهل فاضح ، على الاقل في علوم اللغة فالشهامة والمروءة والضيافة والرشاقة والاناقة والحلاوة من المؤنثات واذا كانت الخصال الثلاث الاولى أقرب الى الرجال فالثلاث الباقيات مرادفة للمرأة ٠ واذا تمشينا على هذه القاعدة " العرجاء " جاز لنا ان نقول ان البخل و الطمع والصلف هي من المذكرات وربما كانت أقرب الى أخلاق الرجال ٠

وداد قباني



ليلة ديسمبر

لالفريد دي موسيه

ترجمة : ميشيل وديع قسليس - دمشق

اذا أخذنا بكلام شقيق الشاعر ثبت لنا أن انفصاله عن امرأة أخرى كان يعذبها بغيرته الشديدة هو الذي أوحي له بموضوع هذه القصيدة لكننا نرى فيها أيضا ان ذكرى جورج ساند لم تغب عن باله (١٨٣٥) . ان موضوع ازدواج الرؤيا أي ازدواج شخصية موسيه نفسه حصل عند "هايني " او في أعمال شكسبير . بيد ان طبيعة موسيه بالاصل قابلة لمثل هذه التهيؤات وهذه الازدواجية . على ان هذه الرؤيا بالذات " ليلة ديمسبر " هي مرآة لأيام شاعرنا التعسة من شأنها أن توقظ لديه ذكرى مرارة الخيانة الاولى ، والشعور المؤلم بالوحدة . بحيث أننا اذا أردنا رد هذه القصيدة الى أحد الأنواع الادبية تظل كثيرة الغرابة وعميقة الابتكار ، رغم ما تتضمنه من صفات الصراحة اللاذعة .

وقد نظم هذه القصيدة وفقا لنظم الشعر الرومانسي ذي المقاطع السداسية .

في الماضي أيام كنت طالبا
وساهرا ذات مساء دائبا
في غرفتنا المنعزلة الوحيدة
دخل وجلس الى طاولتي الفريدة
ولد بائس يرتدي حلة سوداء
بدا لي وكأننا صنوا إخاء

وجهه كان حزينا لكنه جميل
تراءى على الخافق ضوء القنديل
صامتا ، أخذ في كتابي يقرأ
يسند رأسه بيده لا يعبأ
ظل هكذا حتى اليوم الغد
شاردا باسما لا يأبه لأحد

عندما ناهزت الخمس عشرة ربيعا
كنت أسير بخطى غير سريعة
في الغابة فوق عشب أينع
لدى جذع شجرة أتى وتربع
شاب بائس يرتدي حلة سوداء
بدا لي وكأننا صنوا إخاء

استفهمت سائلا إياه عن دربي
كان يحمل بيد قيثارة لطربي
وبالاخرى باقة من زهر النسرين
قادما بسلام الصديق الامين
ثم استدار مني نصف دائره
مشيرا بإصبعه لتلة مجاوره

في عمر الفتى حيث يحتمل الهيام
وحدي انا كنت في غرفتي أنام
أبكي حظي العاثر وبؤسي النحس
الى زاوية موقدي أتى وجلس
غريب بائس يرتدي حلة سوداء
بدا لي وكأننا صنوا إخاء

كان متجهما عابسا من القلق
أشار بيده عاليا الى الفلق
حاملا بيده الاخرى قبضة الحسام
يبدو يشاركني مابي من آلام
لم تصدر عنه سوى زفرة وحيده
وتلاشى كالحلم الموقت بعيدا

لدي ربيع العمر حيث الحرية الجارفه
في وليمة إذ تلامس كؤوس المعرفة
رفعت يوما بيدي كاسي ارتواء
قبالتي على الطاولة جلس استواء
نديم لا أعرفه يرتدي حلة سوداء
بدا وكاننا صنوا إخاء

رايت ، تتارجح تحت معطه الأخرق
اسمال ثوب مخملي قديم ممزق
يعلو راسه إكليل غار مجدب
مد ذراعه النحيف لذراعي يجذب
لما كاسي لامس كاسه المترع
تحطم في يدي كالهش إذ يقرع

بعد سنة ، في دجنة الليل
كنت راكعا قرب السرير أصلي
حيث وافت بطينا والدي المنية
إقتعد مثلي حالما قرب الحشيه
يتيم حزين يرتدي حلة سوداء
بدا لي وكاننا صنوا إخاء

كانت عيناه مغروقة بالدموع
كملائك الرحمن تضيء للحزن شموع
يعلو راسه الجميل إكليل اشواك
والأرض افترشت قيثارته بلا حراك
ثوبه المخملي صبغ الدم القاني
اذ غرز الحسام في صدره الحاني

لوهلة عادت الى ذاكرتي صورته
فتيقنت أني دوما كنت أعرفه
طيلة ايامي الماضية وطيلة دهري
غريبة هذه الرؤيا ٠٠ كيف ؟ لاادري
ملاكا كان أم شيطانا ، على كل حال
قد وعيت وجه هذا الصديق الخيال

بعدئذ لما من الالم تعبت
سواء أردت جديد حياة أو موت
عزمت جادا من فرنسا على النزوح
ولما عيل صبري ايضا من البروح
رغبت الابتعاد متوخيا وآملا
أن أجد للشفاء من الشقاء أملا

في بيزا على اقدام الابنين
في كولونيا مقابل نهر الرين
في نيس لدى منحدرات الوديان
في فلورنسا حيث قصور الأمان
في بريغ حيث المراتع مبنية قبلا
في أحضان الالب ، في قلب العزلة
في جنوا تحت الليمونات اليانعة
في الهافر أمام الواسع الهادر
في فينيسيا ، في الليدو الجائر
حيث على عشب أخضر أمام قبر
محطمة أمواج الادرياتيكي تتبعثر

أينما حللت تحت السماء الواسعة
تركت قلبي وأهملت عيوني الدامعة
في داخلي ينزف جرح خلفته الحفر
في كل مكان كان الاعرج الضجر
يجرجر وهني خلفه ويروم
تجوالي ، لايني يعذبني كالمحروم

أينما حللت كان يشتد ظمئي
لعالم مجهول ممعن في التفاني
اتبع بغير هدى خيال اوهامي
الى مكان لم تستزد فيه أيامي
في كل مكان أحل كنت أشاهد
نفس الوجه الانساني والنظر الجاحد

أينما توقفت على طول الدروب
بيدي أسند طويلا راسي المتعب
فأجهش ٠٠ دموعي مثل امراة رؤوف
في كل مكان اقيم أراني مثل خاروف
يعلق صوفه في عليقات السياج
فتتعرى في روحي كجلود النعاج

أينما أردت أن اظل أغفو
أينما أردت أن اظل واغفو
أينما حللت هادئا أفترش التراب
يقف على دربي في الرواح والاياب
بائس بائس يرتدي حلة سوداء
بدا لي وكاننا صنوا إخاء

ثم تابع الشاعرقصيدته هذه بنفس أوسع واشد اضطرابا ، ذاكرا الاسى الذي الم به جراء انفصاله الجديد عن محبوبة ثانية ٠ فعادوته الرؤيا من جديد ، فثارت اشجانه بكلماتها المعزية وخاطبها متسائلا بلهجة قاسية وصريحة وقد آلمه تجهم هذا الشبيه ورقته ورصانته فقال له :" أنت تبتسم في وجهي هازئا وتبدي الشفقة علي تشفيا "

من أنت اذا يا شبح صباي
المسافر الذي لا يكل ؟

قل لي لم أجدك دوما إزاي
أمر فأراك في الظل ؟

من أنت يا الزائر الناسك
وضيف آلامي الدائم ؟
ما غاية ملاحقتي عبر المسالك
من انت ، من أنت ، الخي الجازف
الا يظهر إلا وقت العبرات ؟

الشبح :
أيها الصديق ، والدك أب لنا واحد
ما أنا لك بالملاك الحارس الاوحد
كلا ·· ولا أنا قدر الشؤم على البشر
لا أدري ·· احب من أولاني عليهم القدر
فارعاهم اينما قادتهم خطواتهم للمحن
على ذي الارض الموحلة حيث نحن

ما أنا بالشيطان ، ولا انا رب
أخا دعوتني انت ، ذا هو الطلب
لأنك بحق منحتني هذا اللقب
أينما سرت سرت أتبعك لغاية
حتى آخر أيامك ، وفي النهاية
اجلس على قبرك أرقبك بعناية

فالسماء التي أولتني الاهتمام بقلبك
متى يغشاه - كما حالك الآن - ألمك
تعال إلي ، دونما أي اضطراب
تابع أمامك - أحميك في الدروب
لكني لا أستطيع أبدا مس يدك
يا صديقي - أعرفتني الان ؟ أنا وحدتك

فـــؤادي

النخوة

قصة قصيرة: هلا العظمة

كنت نجمة مضيئة في درب حياتي المظلم ، كنت لي الدافع على متابعة المسيرة ، وكانت جذوة حبك المتأججة في قلبي تدفع عن جسدي المرهق من مصارعة غول الفقر الصقيع الذي ترسله القلوب البشرية المتحجرة ٠

الحياة كانت قفرا قبل أن تمطر سحائبك حبا وأحلاما كبارا لتخرج من تحت طبقة اليأس آمال خضراء صغيرة قررت أن أتعهدها بالرعاية والسقاية حتى تكبر وتغدق علينا بثمارها المشتهاة من قلب عاصفة البحث عن معنى للحياة انتشلني حبك وزرعني في أرض خصبة تعد بحياة جديدة وحصاد وفير ٠

نسيت أحزاني، دست على يأسي ، رميت وراء ظهري سني حرماني وانطلقت أحث الخطا نحو باب المستقبل ٠

قرعته وجلا متهيبا ، وعندما فتح لي والدك الباب ودعاني للدخول سبقتني أحلامي وطافت في المنزل فرحة كالصغار تبحث عنك لتختبىء في عينيك الخضراوين ، وتغفو بين رموشك الساحرة ، أتخذت مكانا في غرفة الجلوس ذات الأثاث البسيط ٠

صمت لأني كنت أخشى أن تفر الفرحة من سجانها ، وأن يتبخر الحلم الوردي في لحظة رفض قاتلة ٠

جالت عيناي الوجلتان في الغرفة ، كانت البساطة تغلف كل شيء بغلاف قاتم ، وكان الفقر قد مزق بأظفاره الحادة قماش الأريكة في مكان مكشوف ، تذكرت أننا ننتمي الى طبقة اجتماعية واحدة ، أسعفتني الشجاعة ففتحت فمي وتكلمت أخيرا ٠٠وعندما خرجت من منزلك شعرت أن العالم كله أصبح ملكي ، وأن السعادة فتحت ذراعيها تريد احتضاني بعد أن عبثت بي يد الشقاء سنوات طويلة ٠

في المنزل استقبلتني أمي بزغرودة اشتاقت جدراننا العتيقة لسماعها ثانية بعد أن انطلقت لأول مرة عندما قفلت عائدا أحمل بيدي شهادة جامعية تمنى والدي أن يراها ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يفخر بابنه المهندس المعماري ٠

وحلمت بك في تلك الليلة ، وفي الليلة التي تلتها ، صرت حلمي الكبير الذي أقسمت أن احضنه وأرعاه وأحميه ولو كلفني ذلك عمري كله ٠

ماكان اروع شعوري عندما أدخلت الخاتم في إصبع يدك اليمنى ، تأملته طويلا منتشيا وقلبي طافح بشعور جديد علي كل الجدة ، لأول مرة أحسست برجولتي ، وبأنني ملك هذا الزمان المتوج ورأيت الدروب أمامي كلها مفتوحة وكلها منارة بالامل ٠

كانت ابتسامتك تغذي قلبي بالتفاؤل ،

ونظراتك الجريئة تسكرني فانتظر بشوق ولهفة اليوم الذي ساحطم فيه الحواجز التي تفصل بيننا فامطر عينيك وثغرك بالقبلات الحارة ، وأحتوي جسدك الصغير بين ذراعي ، وعندها سيلتصق قلبي بقلبك ويعترف له بكل شيء ، وسيكون اعترافه بليغا ، أبلغ من الكلمات ، لم تكوني تميلين الى الحديث على أي حال ، وكنت أعزو ذلك الى الحياء ، كنت تقعدين بمواجهتي وتنصتين الى حديثي ، وعيناك الحالمتان ملتصقتان بنقطة معينة من ارض الغرفة ، بينما أفكارك تحلق وتطير مبتعدة عن الغرفة والمنزل والحي القديم كله .

حدثتك عن عقد العمل الذي وقعته مع شركة أجنبية ، وعن السعادة التي تنتظرنا في البلد العربي الذي كنا سننتقل للحياة فيه ، وعدتك بمنزل كبير يسع أحلامنا والأولاد الذين كنت أنتظر مجيئهم الى الدنيا ليملؤوها ضحكا وفرحا ودفئا .

وتكلمت أخيرا ، طلبت أن تكون أرض المنزل من رخام وأن يفرش بأفخم الاثاث ، أردت سيارة من طراز حديث لتنقلاتك الخاصة ، ولم تنس أن تطلبي دهبا وماسا ، وحين أجبتك بأنه حتى المرتب الكبير الذي تدفعه مدن الذهب الأسود لا يصنع المعجزات ، ولا يجعل الناس أغنياء بين ليلة وضحاها تسربت خيبة أمل من عينيك وسألتني بحدة : وكم سنة علي أن أنتظر ؟

...

وغادرت منزلك متجها الى منزلي ، وفي الزقاق الضيق توقفت قدماي عن الحركة فجأة ، تسمرت في مكاني تحاصرني البيوت الحجرية المغروسة على الجانبين ، أحسست أنني فقدت شيئا مهما ، فكرت بالرجوع ولكنني مالبثت أن تقدمت شاردا ، ووجدت نفسي أخيرا قاعدا على كرسي أمام طاولتي التي تبعثرت عليها الكتب ، مسندا رأسي الذي تتصارع فيه الأفكار الى كفي كما أفعل الآن تماما .

ما زلت أذكر المرة الاولى التي اصطحبتك فيها خارج المنزل متحررا من نظرات والدتك المراقبة ومن نحنحات والدك المتصلة من ساعة دخولي المنزل حتى يشيعني الى باب الخروج .

كنت ساحرة حقا بتسريحة شعرك وبالمساحيق التي وضعتها على وجهك المتألق ، وكنت أختلس النظر الى قوامك الفارع بين حين وآخر ثم أتطلع الى الناس حولي وأتخيل نظرات الحسد التي تطلقها عيون الشبان الجائعة ، وددت لو أخفيتك عن كل العيون ، وددت لو حملتك وطرت بك لأبعدك عن الناس فأنعم عندئذ وحدي بجمالك الفتان ، أحسست بدمي يغلي وبقلبي يشتعل وهممت أن أهمس في أذنك كلمات قليلة في الحب عندما توقفت فجأة أمام واجهة مخزن للملابس الرجالية وبادرتني بالسؤال : ألم تفكر يوما بتغيير طريقة لباسك ؟ لماذا ترتدي دائما ثيابا بالوان قاتمة ؟ لم أجب .. بل أحسست بأنني فقدت القدرة على النطق وأن الكلمات قد تبعثرت في رأسي فعدمت الوسيلة للخروج بنظام يعطيها معنى ما .

تابعنا السير معا وعيناك قد اختطفتها أضواء المخازن .

كنت تحدثينني طول الوقت عن أهمية المظهر الخارجي ، وكانت كلماتك تصطدم بأذني محدثة رنينا مزعجا ولكنها لم تكن تتابع طريقها الى رأسي ، بعد حين لم أعد أسمع شيئا ، لا رنين كلماتك ولا الضجيج من حولي ، بل غرقت في أفكاري التي أخذتني بعيدا عنك وعن كل الناس .

الشمس لم تطلع ، وما كان بعد الفجر الخادع الا ليل دامس عاصف ٠٠ إنها الحرب ٠

ألغي عقد العمل فضاعت بضياع هذه الفرصة الأحلام ٠٠

نزل علي الخبر كالصاعقة ، اختطفني من هجوع يقظتي ، ومن استغراقي في حلمي اللذيذ ٠

أسرعت اليك أبحث عن دمعة تواسي حيرتي وارتباكي ، فلم أجد في عينيك الا الجدب والجفاف ، ويوما بعد يوم خبت ابتساماتك التي كانت تخفف عني ثقل الأيام حتى انطفأت تاركة إياي في ظلمة قاسية لا ترحم ٠

أصبحت أشعر أنني غريب عنك ، صرت تغادرين الغرفة عندما أحضر ، وحتى الكلام صرت تبخلين به علي ، وكأنك تنفرين مني ٠٠

ما سر هذا التحول ٠٠ ؟ !!

عندما طلبت إنهاء علاقتنا زعمت أنني تغيرت ٠٠

أنا لم أتغير فما زلت أمتلك ذلك القلب المحب والنابض بالحياة ، وما زلت مستعدا لتقديم العرق والجهد والفكر كي أؤمن لك لقمة شريفة ، مازلت أحلم أن أضمك الى صدري لأمنحك الدفء في الشتاء عندما يعجز لهب متراقص في المدفاة أن يهبك إياه ، مازلت أطمح ان أكون أبا صالحا لأولادنا أنشئهم تنشئة سليمة وأعلمهم أن يشقوا طريقهم متسلحين بالخير والحق والجمال ، فما الذي تغير إذن ٠٠ ؟

وتداعى الحلم الكبير في لحظة عندما رميت الخاتم في وجهي وابتعدت ضاحكة هازئة ، وسقطت على المقعد بإعياء شديد أحاول أن أستجمع شتات أفكاري ومزق قلبي ٠ ٠

وفهمت كل شيء بعد أن رأيت سيارة سوداء فخمة تبتلعك بثيابك الجديدة ذات الألوان الصارخة ، وبعد أن علمت أن رجلا قد تقدم



لخطبتك وحاز على الموافقة ، ولم يثر دهشتي أنك رضيت بالزواج من أب لتسعة أطفال قد بلغ الخامسة والخمسين من العمر ٠٠

أيام مرت وأنا في سجني الذي صنعته لنفسي أيام مرت وأنا في غرفتي لا يؤنس وحدتي الباردة الا حفيف القلم على الورق ، ولا يشاركني الغرفة الا سلطان الألم ، ولا يبادلني الحديث الا الصمت ٠٠

الجدران الأربعة التي تحضن ذكرياتي استحالت الى وحش يريد أن يخنق أي أثر للسكينة في نفسي ، هدوء قاتل يحمل عشرات الاسئلة التي لا أملك لها جوابا على طرق باب رأسي بعنف وضراوة ودون رحمة أو شفقة ٠

أنهض عن الكرسي لأستلقي على فراشي ، الوحدة تضرب حول نفسي حصارا محطما ، الظلام يبسط سواده على قلبي ، أغط في نوم عميق ٠٠

أصحو على صوت أمي الدافىء يناديني يتسرب دفء الصوت الى قلبي ٠

تقعد بجانبي على السرير ، تبتسم ابتسامة

عتبة ، تقبلني من جبيني ثم تنهض ، ترفع الستارة فيهجم نور الشمس القوي على عيني المتورمتين ويتغلغل فيهما ، تعود فتتخذ مكانها بقربي ، تمتد يدها لتمسح شعري ، تبقى صامتة تسكب نظرات حنونة على وجهي ، أبقى كذلك صامتا أنظر اليها فيطالعني وجه شاحب متعب قد رسم فيه زمن ظالم تجاعيد كثيرة ، أتناول يدها المتشققة فأضعها قريبا من قلبي ، كم عملت هذه اليد حتى تصنع مني رجلا حقيقيا ..

سكين تطعن حنجرتي ، رغبة عارمة في البكاء تتملكني ، أنهض بسرعة وأبتعد عنها ،أتجه الى المغسلة ، تتسلل دمعة من عيني فأمسحها ، أنظر الى المرآة ، فأرى وجها متعبا يائسا ، أضع رأسي تحت الماء المتدفق من الصنبور ، أشعر وكأن الماء البارد يسير في تلافيف دماغي فيجلو عنها الضباب ، شعور جديد بالانتعاش يولد في داخلي ..

أغير ملابسي ، ثم أتجه الى المطبخ حيث بدأت أمي عملها اليومي المعتاد ، أنحني وأقبل يدها ثم أقول لها : " أمي .. أنا ذاهب لأفتش عن عمل " ، فترفع يدها ثانية ثم استدير وأتجه صوب الباب ، وأحس بنظراتها القلقة تشيعني حتى أصبح في الزقاق ..

شمس الصباح تسلط أشعتها علي ، دون أن اقصد تعب رئتاي بشراهة غير معهودة كمية كبيرة من الهواء تستيقظ بها خلايا جسدي وتستعد لاستقبال يوم جديد ..

هلا العظمة

اشترى أحدهم عبدين أبيض وأسود وطلب من كل واحد منهما أن يمدح نفسه ويهجو صاحبه فقال الأسود :

ألم تر أن المسك لا شيء مثله ... وأن بياض اللفت حمل بدرهم
وأن سواد العين لا شك نورها ... وأن بياض العين لا شيء فاعلم

وقال الأبيض :

ألم تر أن البدر لا شيء مثله ... وأن سواد الفحم حمل بدرهم
وأن عباد الله بيض وجوههم ... ولا شك أن السود أهل جهنم

الكتاب الانكليز المعاصرون

توماس هاردي ١٨٤٠ - ١٩٢٨

بقلم
دافيد كلارك

ترجمة : محمد سعيد الكيلاني

لقد اثار انتاج توماس هاردي وقصصه بشكل خاص - جدلا عنيفا أيام حياته ، فالمواضيع وفلسفة قصصه الاخيرة ك : (جود المغمور) وسواها ، كانت من النوع الذي يثير النقد ، بين أولئك الذين يعيشون في حاضرهم ، ويعجزون عن فهمهم ، ان الكاتب العظيم ، يمكنه أن يعيش في حاضره ، كما يعيش في مستقبله ، فهو يهتم بالاشياء العامة والابدية ، بينما ينحصر اهتمام الناقد في دائرة ضيقة ، في الوقت القريب منه ، وفي الاشياء السطحية ، هذه الجلبة التي نتجت عن تشاؤمه المزعوم ، وما عزي اليه ، من انه لايحافظ على تلك القواعد التي يهيم بها النقاد ، هذه الضجة قد خمدت اليوم ، وأما الاعتقادات التي وجهت اليه من الكهان والمتحذلقين ، فنسيت، وهو يحتل اليوم مكانته الثابتة ، بين اولئك الذين يؤثرون النظرة البعيدة للحياة البشرية ، تلك النظرة التي تقول : ان الظروف السابقة تقرر الوضع الحاضر ، ولم يفعل الزمن شيئا للتقليل من أهمية كتابات هاردي ، بل ساعد على عمق مفهومه للمأساة ، وتثبيت مركزه الخالد في الادب الانجليزي ٠

ولد هاردي في دورشستر ١٨٤٠ وتلقى ثقافته الاولية في مدرسة القرية ، كان والده بناء ذا مكانة مرموقة ، كعامل ماهر في مجتمع القرية ، وفي ١٨٥٦ ترك هاردي المدرسة البريطانية في دورشستر والتحق بمهندس ، ليعمل مهندسا معماريا في شركة AW في بلوم فيلد ٠ وفي ١٨٦٧ عاد الى السيد هيكس مستخدمه الاصلي ٠

وتبدأ تجاربه الاولى في كتابة القصة منذ تلك الفترة ، لم تنشر اولى قصصه الا ١٨٧١-١٨٩٧ وبنشر قصة (المحبوب الجميل) ١٨٩٧ هجر الكتابة القصصية وكرس مابقي من حياته للشعر ٠ هذا القرار في ترك الكتابة القصصية ، يعزى الى قبول غير مستحب واجهه به النقاد في رواية (جود المغمور) تلك القصة التي رماها اسقف (ويكفيلو)

في النار ، وأعظم حدث مهم في حياته الاخيرة ، هو نشره بين ١٩٠٣-١٩٠٨ الأجزاء الثلاثة من مسرحيته الروائية الكبيرة المسماة بـ (السلالات) غير أن الشرف والشهادات العلمية الفخرية ، والمنح الدراسية ، والعضويات الفخرية ، قد انهالت عليه من كل جهة ٠

كما منح عضوية فخرية في RIBA المعهد الملكي للمهندسين المعماريين ، (ريبا) وعند موته ١٩٢٨ دفنت عظامه في دير وستمنستر ٠ لكن قلبه دفن في باحة كنيسة ستنسفورد في وسكس التي أحبها كل الحب ٠ أما بالنسبة الى أدب هاردي فليس فيه عناصر ثورية او تجريبية ، كان يستلهم وحيه من ارياف جنوب انكلترا ، من وسكس كما كان يسمي أرياف همشاير ، دورست وركشاير بأسمائها ، حيث تجري حوادث قصصه التي ترتبط قصص بها وبتقاليدها وقصصها ، وتاريخ شعبها ، الارتباط كله ، ولد في (دورست) قلب وسكس ٠ وبقطع النظر عن الفترة الوحيدة من ١٨٦٢-١٨٩٧ فقد عاش هناك طوال حياته الا ماكان من زيارات مناسبة اعتيادية ٠ ذلك هو العالم الذي عرفه كثيرا ، بقدر لا يمكن معه لأية قوة خيالية ، ان تبعده عنه الى حياة حلقات لندن المزيفة ، مع أنها أكثر اتصالا بالعالم ٠

كان أقل قصصه توفيقا ، تلك الملهاة الاجتماعية ، عن الطبقة فوق المتوسطة ، التي وضعها في محيط غير مألوف لديها ، كما هي في (يد اثلبرتا) (لاوديشن) ٠ ان حياة عمال البساتين والمزراعين ، الذين وصفهم بخيال قوي فعال ، أقول : إن هذه الحياة جزء أصيل من حياة وسكس الغنية ، فالبساطة والعاطفة في أكثر أشخاص قصصه ، تنبعث من التربة السوداء التي يرتبطون بها بقوة يائسة ، وهي التي تعطي صورة قاتمة لحياتهم القصيرة المحزنة ٠

ان قوة الشخصية عند (فبريل اوك) وم (كايلز وينتر) و (ميشيل هنتشرد) ذات جذر عميق في بساطة الريف وديمومته ، كما ان الاشخاص الثانويين ، الذين يعملون كجوقة موسيقية - كصدى - للعمل الرئيس في القصة ، هم من النوع ذاته ، فهؤلاء أغنياء بالحكمة منذ القديم ، تعلموا أن يتحملوا الصعوبات ويقبلوا بذلك ، هذا ، وان تعليقات السيد (كاكسوم) و٠٠ (من قصاص الاعشاب)مأخوذة كلها من البيئة ، وهي تتعلق بأمور لامناص منها ، كحقائق الولادة والموت والحب ، هذه الشخصيات الثانوية تهيىء بيئة من بشرية قوية بسيطة ساخطة ، لا تستسلم للشخصيات الاساسية ، (وهي الاكثر عاطفة وثورة وحزنا) التي ولدت فيها ٠ ان الطبيعة المتكررة ومناظر وسكس ، جزء اصيل في كل قصة ٠ والطبيعة والمناظر ، لا تشكل أكثر من أسس رومنتيكية ساحرة ، تبنى عليها القصة ، كمافي قصة Under the green wood tree ٠ وفي أحيان أخرى كما في الصورة التي يقدمها عن Egdon Heagh التي لا يمكن ان تنسى في رجوع المواطن هذا التأثير البسيط ، يجعل كل شيء قزما بالنسبة اليه أيضا ، وفي هذه الرواية ، تبقى الشخصيات في جميع الانحاء رمزا للعالم المؤتلف ، فوجه المرج الهادىء ، الذي تحدى هجوم التغيرات الطبيعية خلال قرون ، جعل هذا الغليان للفرد شيئا تافها ، وفي قصة Tem of Derberwilles نشعر بوجود الطبيعة القاتم ، كما أن مايكل بطل القصة ، يذهب الى كوخ فوق المرج ، ليموت منفردا فعقدة التخيل والخيال الشعري اللذين يجعلان من وسكس عند هاردي ، وشعبه الريفي حقيقة ، هما سبب رئيس لجعله في عظمته كفنان يهتم بالمأساة وباستثناء قصصه (يداثلبرتا) و (اثنان فوق البرج) و (A looeiviean) فان مصدر وحي قصصه هو الايمان بأن الرجال والنساء في كفاحهم للسعادة ، هم تحت رحمة قدر قاس ٠

فهو يعزف أول لحن حقيقي عن الحزن

الانساني في (بعيدا عن جنون الجمهور) فالقدر الذي لا يمكن توقعه ، يأخذ في قبضته ، معظم شخصيات القصة ، ولا يطلق سراحهم الا عن طريق تحملهم للآلام ، وغموض الالم ومأساة صراع الانسان ضد القوى التي تعترضه ولا يفهمها ٠

كل هذه الاشياء تصل الى قمة التعبير في قصة (رجوع المواطن)(ساكني الغابات)و(رئيس بلدية كاستر بريدج)٠ وفي كل هذه القصص الخالدة ينهمك الرجال والنساء معا ، بكفاح غير متكافىء ، مع الظروف والمصادفة المشتركة والعاطفة ، ويسيرون الى النهاية التي لا محيص عنها ٠ كما ان تفاعلهم مع الاحداث ، يوصف في مناظر فيها قدرة هاردي على الوصف ٠ وهذه المقدرة تشتد بعمق مشاعره ، فالابتداء القاتم لقصة (عودة المواطن) ومنظر المغامرة تحت ضوء اليراعة الاخضر Egbon Heath وليلة يوستاتيكا الاخيرة والقتال بين فارو وهنتشرد وتعليقات السيد كاكسوم بعد وفاة هنتشر في رئيس بلدية كاستر بريدج وقصة الخيال في Tale Bothays، والشتاء القاسي في تبس والملاك ، والخشونة والمرارة القاتمة في المنظر الأخير من Ten of Durber Wills٠ هذه المناظر كلها ومناظر كثيرة سواها هي من المقياس الضخم ٠ بل ليس هناك ما يجاريها في شعور المأساة الشديد ، وجمالها الحي ، في انتاج أي كاتب انجليزي آخر ٠ لقد انتقد هاردي كثيرون بسبب تشاؤمه وقدرتيه ، ولا شك ، أن هناك بعض اللحظات في قصصه ، فيها كفتا ميزان ، وقد رجحت الكفة الثانية بصورة آلية ضد السعادة البشرية ، كما في قصة جود المغمور٠ ولكن علينا الا ننسى في التقدير النهائي لنبوغ هاردي ان الارادة أو التصميم على الحياة ، والتفتيش عن السعادة ، تستمر في اشخاص الرجال والنساء فيما كتب ، ولا تتأثر بمأساة اللامبالاة في العالم الخارجي ٠ ومع ان (يس) و (هنتشرد) و (يوستاتيكا) في هذه الروايات كلها ، لا تصل الى مستوى شخصيات البطولة ، ولا تلقي عليه ضوءا من البطولة ، كما راينا في روايتي هملت ٠ لير ٠ ماكبث مع هذا فنحن نحترم هذه الشخصيات ، ويبعث مصيرها المحزن في القارىء الرفع من معنويات الانسان ، الذي هو المقياس النهائي لكل فن عظيم ، هناك نقاط ضعف في فن هاردي يقرن بها ٠ فقد كتب في مناسبة (هدف الخيال الحقيقي هو بعث السرور ، مكتفيا بالحب غير العادي ، في التجربة الانسانية اما في العقل او الجسم) ٠ لقد كان من الممكن ، ان توجد نتائج سيئة جدا لمثل هذا الاعتقاد ، في كاتب أقل مستوى من هاردي ، لكن أفضل قصص هاردي ، كشفت عن سيطرته على المادة التي يكتب عنها ، بحيث ان استعماله احيانا ، للحوادث التي فيها إفراط ومبالغة في المأساة ، يضيع - هذا الاستعمال - في عظمة تخطيطه للقصة ، وتنفيذه لها بصورة عامة ٠

ولكن اذا كانت سيطرته على مادته أقل ، كما في (لاوديش) (يداثلبرتا) فإن كل مايقدمه لنا ، هو اشخاص وحوادث لا نراها عادة ٠ والاساليب التي يستعملها (دير) النذل في الرواية السابقة ، للوصول الى مأربه ، كزيارته للمدرسة في الغابة ، وخدعته التي استعملها فيما يتعلق بصورة (سومرست) فيها جو غير واقعي ، تماما كما في وجود (اثلبرتا) وطالبي يدها الثلاثة في فندق (روان) كما يوجد جو غير واقعي ، يحيط بانتاج اثلبرتا الادبي ٠ والتفسير لكل هذا أن مقدرة هاردي على الابداع في التصوير كانت محدودة ، كان يشعر بسهولة العمل في ريف وسكس وبين قاطنيها ٠ فاذا انتقل ليتحدث عن الحياة الاجتماعية في لندن ، وجدنا التأثير فقد صفة الاقناع ٠

ان المصادفة والمبالغة ، في المآسي التي في مجتمعه ، قد تصبح عنيفة وغير ممكنة ٠ بل هي

تشويه غير واقعي ، لحوادث المجتمع ، في غرفة استقبال بلندن ، ومعالجته العقدة بصورة آلية مشابهة ، هي نقطة الضعف لتلك الرواية ، التي كثيرا ما بحثت وانتقدت وهي (جود المغمور) واذا كان الاسقف قد رماها في النار لأسباب فنية وليس أخلاقية ، فهناك بعض التبرير البسيط لعمله ، بسبب فشلها الفني لأن هاردي يشوه عن عمد، ويزيف القصة ، لكي تسير الى أبعد مدى في تشويه القدر ولا مبالاته كما يعتقد هو . ان افراط الشقاء الذي يجعله المؤلف يهبط على (جود) و (سو) وألم الحياة التي لا تأتيها مواساة مطلقا، يجدها القارىء أكبر من أن يقبلها اعتقاده . في هذه المرحلة ، تصبح القصص مجرد شخصيات آلية ، والعاطفة المحزنة الصحيحة ، التي ظهرت بقفزة في قصص هاردي مفقودة .

ان الخيال الحساس الذي ترتكز عليه جذور كفاحه كروائي ، وجد طرقا متنوعة للاعراب عن نفسه ، في الشعر الذي ظهر بعد قراءة في التخلي عن كتابة القصص ١٨٩٦ . وهذه الصورة فيها ارتباطات انسانية عميقة ، وصورة ساخرة للحياة ، وصورة للطبيعة ، قد لا تلاحظها عين محبة ووصفت بتحر للحقيقة قوي . وهي صورة عنيفة قاسية ، تلونها وجهة نظر الشاعر القاتمة ، لضعف الانسان في كفاحه ضد القدر . وهي أيضا صورة ، ينقلها الينا في كل الضروب الشعرية المتصورة : من أصغر القصائد الغنائية من طرز عادي ، الى طرز ملاحم للدراما ، الى المسرحية الهائلة الشعرية المسماة (بالسلالات) ويعطينا هاردي في هذه المأساة ، تعبيرا أكثر دقة عن آرائه التي استوحاها لروايته المحزنة ، فالقدر المتسلط غير المبالي ، والذي خيم على أبطاله وبطلاته ، تحول الان في المسرحية الشعرية الارادية الداخلية وهو قوة مهددة ، يفسرها لنا في الرواية ثلة من الاشخاص غير العاديين ، يسميهم الارواح او العقول : The spiritsar Unteligences . وهم يشكلون نوعا من المناقشة السماوية عند استعراضهم الحوادث التاريخية لأيام نابليون . وقد استعمل هاردي كل القوى التي يملكها في تلك الفصول ، من رواية (السلالات) التي تدور حول المأساة البشرية ، المتمثلة في تقدم نابليون المحتوم ومقاومة انجلترا له . وهناك نرى للمرة الثانية ، فلاحي وسكس ، من رجال ونساء ، يعيشون على هذه الصفحات ، من رواية السلالات . ويشاركون هاردي في حيويته المبدعة ، مع القواد والملوك ، الذين يقومون بدور لاشعوري في المسرحية الابدية للقدر ، ومن المحتم ان توجد نقاط ضعف في مثل عمله الضخم ، الذي يتألف من ١٩ فصلا ، هناك لحظات يبدو فيها العنصر غير الطبيعي ، وكأنه مقصود ، كما يبدو جهاز الأرواح في الرواية مصطنعا ، كما كانت قريحته تتدنى أحيانا ، ويصبح شعره سطحيا وعلى وتيرة واحدة . ومع ذلك ، فهذه الاخطاء تتلاشى وتصبح تافهة ، اذ يتحقق القارىء من شمول الفكرة ، والابداع العام في التمثيل .

ان الخيال الذي أوحى اليه برواية السلالات والقصص الاخيرة يظل ثابتا في شعره الغنائي والتأملي ، ونشر من هذا الشعر تسعة مجلدات.

في هذا الشعر الغنائي يتأمل الحب والموت والطبيعة بطرف رقيق ساحر ، معطيا المجال الكامل للناحية التقليدية والمضحكة في رواياته ، وضمن المجال الضيق للمقطوعات الصغيرة الشعرية تتضح تفاصيل أسلوبه ، بصورة اقرب الى الفهم ، وكان يجهد نفسه أحيانا ، للبحث عن تعبير خاص به في استعماله للغة ، وهي مزيج من الالفاظ التي أولدها او استعملها ، من تعابير قويمة ، ولهجات محلية ، وعبارات فنية . ولكن على الرغم من كل الجهود التي بذلها ، فقد كانت التعابير غير شعرية .

تمكن هاردي في قليل من قصائده من

الوصول الى البساطة المرموقة ، تلك التي أحلته مكانة مرموقة بين أعظم شعراء بلاده ، ومن سخرية القدر ان قصيدته التي تعبر بوضوح وعظمة عن قوة الجنس البشري التي لا تغلب ، ومقدرة ذلك الجنس على البقاء ، أصبحت من أشهر قصائده ، على الرغم من ان كل رواياته وقصائده الاخرى تبحث في ضعف الانسان أمام القدر :

" انه رجل يشقق كتلة التراب
في سيرها سير هادىء
ومعه جواد هرم يتعثر ويهز راسه
وكلاهما يسير مغمض العينين من النعاس
ويبدو دخان ضئيل دون لهب
من أكوام العشب اليابس
ويبدو أن ذلك سيستمر
مع أن السلالات تنقرض
هناك تسير فتاة وفتاها
يتهامسان .. معا
إن حوادث الحرب تنقضي
قبل أن تنتهي قصة حبهما

لاحظ هاردي الصقر عند انبلاج الصباح بعين شاعرة ، مع سقوط الندى ، وجمال ليالي الشتاء المتألقة بالنجوم .

لقد كانت له عين تجلو مثل هذا الغموض ولكنه اهتم أيضا ، بالاحساسات الغامضة للرجال والنساء ، ومصيرهم المرتبط بالارض .

وفي تعبيره عن ذلك ، بقصصه واشعاره وفي وصفه البديع لموسيقى البشرية الهادئة المحزنة تكمن عبقريته الاساسية .

ترجمة محمد سعيد كيلاني

تحية إلى دمشق وإلى شهداء التاسع والعشرين من أيار في ذكرى العدوان الفرنسي لعام ١٩٤٥

شعر: عبد المجيد النجار

نضالك يا فيحاء في الكون خلّدا فتيهي على الدنيا فخاراً وسؤددا

سموت بأهل الفكر والفضل والنهى وباركت من يقضي الليالي تهجدا

وصنت شباباً لا تعصّب عندهم فما فرّقوا ما بين عيسى وأحمدا

ففي كل قلب يحملون رسالة وفي كل كف يرقصون مهنّدا

أولئك قوم للخلود تسابقوا وكانت ضحاياهم إلى المجد مصعدا

فحقّ من دنيا العروبة حضنها إذا غضبت كانت جحيماً على العدى

وحلّق من بدء الخليقة موكب من الفخر والأمجاد والبذل والندى

فما شهدت دنيا الشآم تخلّفاً عن الركب يوماً أو أقرّت تردّدا

☆ ☆ ☆

لمن شهداء العرب كانوا قوافلا لمن فارس الميدان غنّى وأنشدا

لمن شعراء النيل ساقوا قوافيا لمن بردى في غوطة الشام غرّدا

لمن أشرعت هذي الرجال أسنّة فصدّت عدوّاً طالما قد توعّدا

بلى إنّ هذا للعروبة فاحمها إلهي من بركات يثرب توقّدا

وبارك صناديد الحمى قدماؤهم ... فدى الوطن الغالي تطلبت فرقدا

أناروا لنا درب الشهادة فليكن ... هو الدرب يا قومي سبيلاً ومقصدا

لقد بدأ المستعمرون اعتداءهم ... فأغمد سيف الثأر في قلب من بدا

وهم لطخوا دار النيابة بالدما ... ولكن وجه الشام زاد توردا

أرادوا لدنيا العرب شر هزيمة ... فكانت لنا بالنصر أمسينا مؤيدا

وكان رجال الأمن مشعل ثائر ... أنار لنا درب النضال وعبدا

تصدوا لغاز مستبد وجحفل ... من البغي والعدوان أرغى وأزبدا

فكانوا لنا دنيا من الجود والعطا ... وحصناً منيعاً يقذف الويل والردى

ففي كل ركن فيه دمشق أشاوس ... غدا دمهم بين الثنايا تبراً وعسجدا

ففي يوم ذكراهم نحيي بطولة ... أطاحت بعدوان تشمر واعتدى

ونقسم أن نرعى العهود وأننا ... سنمضي على درب الشهادة والفدى

فيا تربة الأجداد منا تبرّدي ... إذا نحن لم نبذل دماءنا مصعدا

ويا راية النصر اخفقي وتمردي ... لقد آن للمقهور أن يتمردا

* * *

فلسطين يا أرض النبوة والهدى ... وقيت أذى باغ على قدسنا عدا

سنحميك حتى يعرف الموت أننا ... صنعناه واخترناه للخصم موردا

ففيك من الأبطال صيد أماجد ... يذودون عنك البغي صفاً موحدا

ونحن عرين الليث دوى زئيره ... فأطبق شرق الأرض والغرب مرعدا

لبسنا فخاراً من بطولات حينا فلسطين ... وعشنا صموداً حقه أن يمجدا

رفعنا الأمجاد العروبة راية ... فصنا بها أصلاً ومجداً ومحتدا

الى قصرالفرعون ٠

وعلى باب القصر ظن الفرعون ان هذا الثور هدية اخرى من هدايا " رع " اليه فأدخله الى القصر يمرح حيث يشاء ضمن اعجاب الحاشية بعظيم شكله ٠

وحين وجد زوجته أعاد لها قصة خيانتها وأخبرها انه هو " باتا " فلحت على الفرعون طالبة أكل كبد هذا الثور اذا كان يحبها ٠

وهكذا ذبح الفرعون الثور وسالت دمائه في باحة قصره ، وبعد عشائها بكبد زوجها بجانب الفرعون أشرق الصباح على شجرتي حور فارسي في موضع ذبح الثور قرب مدخل القصر وفي فنائه ، فسر الفرعون لهذه الاشارة الثالثة من الاله ٠

ودعا زوجته للجلوس تحت احداهما وهو عند الاخرى ، ومرة ثانية همس " باتا " لزوجته بأنه لا زال حيا في شجرتي الحور الفارسي ٠

وأيضا ٠٠

طلبت من الفرعون قطعهما ٠

وحين بدأ القطع طارت خشبة من فأس النجار الى حلقها فابتلعتها وحملت بولي عهد الفرعون الذي لم يكون سوى " باتا " نفسه ٠

وشب الطفل يأخذ صورة باتا يوما بعد يوم الى ان بلغ اشده ، ومات الفرعون فاعتلى على العرش وفضح قصة أمه أمام الناس ووزرائه ، فاقتيدت لتقتل بالسكين تماما كما قرر الالهة التسعة مصيرها فور تكوينها ٠

وهكذا أحضر باتا أخاه المحبوب" انوبس " ليحكما مصر مدة ثلاثين سنة ٠ (٥)

في قصة " الاخوين " هذه نجد كيف تخون المرأة الحق من أجل الجمال ، وكيف يخون الجمال الخيورمن روهم امتلاك الحق ، عبر صياغة الفكر المصري القديم لكيفية الخلق والتناسخ وللعبة الالهة في صناعة الاقدار ، كما نجد الصلة التاريخية الخالدة بين مصر وبلاد الشام ٠ وكذلك تحكي الارواح في الشعر الفارسي ، وعظمة الحب الحقيقي بين الاخوة الذين يجب ان لا يفرق بينهم أي خيانة مهما عظمت ، لان الحق سوف يعود بالنهاية الى صاحبه ولو قتل في سبيله اكثر من ثلاث مرات ٠

ان كلمة " ماعت " التي كانت تعني عند الفراعنة الحق والاخلاق معا ، بتجسيدها وراء كل الاساطير ، وكل الفكر الفرعوني القديم ، دلالة على أن عظمة تلك الحضارة لم تقم الا على بنيان اخلاقي ثابت ارادت كل عظة في أساطيرها ان تؤكد اهمية الفعل الاخلاقي للأجيال ٠

بقي كلمة اخيرة هامة وهي ان التشابه بين فعل الخيانة الزوجية عند زوجة الفرعون في محاولتها مع يوسف عليه السلام وفعل اي خيانة زوجية في قصة سابقة او لاحقة ، لا يحق لنا اننستدل منه كما استدل " برستد " ان قصة يوسف منقولة من قصة الاخوين هذه لاختلاف الصياغات ٠ وان كان الهدف من كل خيانة زوجية واحد ، ألا وهو الحاجة والشح والندرة ورؤية جانب واحد وشخصي من ثالوث الحق والخير والجمال ، الخيانة تنكر وقصص التنكر واحدة الدوافع ، فاذا قال " برستد " :(ومن الامور الهامة جدا ان تكون هذه الحادثة بالذات بين كل الادب المصري هي التي جذبت نظر المؤلف العبري حتى ساقه ذلك اتخاذها برهانا اساسيا على طهارة أخلاق بطل القصة) (٥) ٠ مؤكدا ان حادثة قصة يوسف عليه السلام (مستقاة من قصة مصرية شعبية - لا بد - قد انتشرت في فلسطين

الكنعانية حيث سمع بها ذلك الكاتب الموهوب الذي ألف قصة يوسف (٦)

ان الخيانة شأنها شأن كل فعل لا أخلاقي وأكثر تبدأ بالرغبة ٠

وحين تنصب كل الارادة الانسانية بشكل مطلق حول تحصيل هذه الرغبة بأي وسيلة كانت ٠

ولا تقدر

تتحول الى التنكر

فإذا لم تقدر ان تحصل على كل ما وجهت رغباتك للحصول عليه فيجب ان لا يكون لغيرك

وهكذا تركت الخيانة الغدر وتنتهي بالانحياز الى كل عدو لمن سبق وأحببت ٠

ان الخيانة فعل سلوكي لا أخلاقي يكرره الناس في كل زمان ومكان نتيجة محدوديتهم وضعفهم ، فلا حاجة لحديث المؤرخين الشكيي التافه حول النقل ٠

وأخيرا لا يسعنا الا ان نسأل الله تعالى أن يحمينا وإياكم من تكرار " قصة الاخوين " التي يبدو ان التاريخ قد مج تكرارها منذ خمسة الاف سنة الى اليوم ٠

د ٠ هاني يحيى نصري



لوحة من الفن اليمني المعاصر تصور الجمال الانساني والطبيعي للريف اليمني

الرجل والمرأة في المجتمع

كتاب باللغة الاسبانية يصدره أديب عربي في فنزويلا

تقديم : نعمان حرب

عام ١٩٨٥ ، اصدر الأديب العربي ، الباحث الاجتماعي ، الاستاذ نديم عساف ، المغترب في فنزويلا ، كتابا جامعا عن حقوق الرجل والمرأة وواجبات كل منهما في المجتمع ، والنزاع القائم والمستمر بينهما ٠٠ والحل المطروح لازالة هذا النزاع ٠

ولاقى هذا الكتاب صدى عظيما في الاوساط الثقافية والعلمية في فينزويلا ، وعلى الصعيدين الرسمي والشعبي ، مما حدا بوزارة الثقافة الفينزويلية على اقرار تدريس هذا الكتاب كمادة مكملة للصفوف الاعدادية السابع والثامن والتاسع لمدة عشر سنوات من تاريخه حسب المادة ١٠ و " من القانون ١٨٥ ٠ حمل قرار وزارة الثقافة الرقم ٢٧٣ تاريخ ١٥-٥-١٩٩٠ ونشر بقرار من رئيس الجمهورية في الجريدة الرسمية ٠

من هو المؤلف ؛

وقبل ان نستطرد في الدراسة عن هذا الكتاب ، ننشر بطاقة المؤلف ، ومن ثم ما نشرته وسائل الاعلام الفينزويلية وكتبه كبار الادباء والباحثين ، في فينزويلا ، في الصحف والمجلات الصادرة فيها ٠

نديم عساف :

- ولد في قرية معليا من أعمال الجليل الاعلى في فلسطين سنة ١٩٢٤ ٠
- درس لغاية الصف الرابع في مدرسة قريته ثم أكمل دراسته الابتدائية في قرية ترشيحا ٠
- تخرج من المدرسة الثانوية في عكا ٠
- عمل مدرسا في قريته ، ثم اشتغل موظفا في شركة بترول العراق التي انتقلت الى لبنان في أواخر سنة ١٩٤٧ ٠
- بعدها عاش متنقلا في البلاد العربية ٠
- هاجر الى فينزويلا سنة ١٩٥٤ حيث يقيم ٠
- رافق عمله التجاري دراسة متواصلة جادة للغة الاسبانية ، حتى وصل في دراسته الى المستوى الجامعي ، واصبح عضوا بارزا في اتحاد الكتاب الفينزويلي الذي منحه شهادة " الدبلوم " في اللغة والادب ٠
- نشر عدة مؤلفات بالعربية ، ترجمت اكثرها الى الاسبانية ، منها " عايدة " قصة " المطران الثائر " والمطران ايلاريون كبوتشي " " لبنان الى أين ؟ " " المغتربون وأبناؤهم " و " أماني فجر جديد " ٠

وهذا الكتاب " الرجل والمرأة في المجتمع " باللغة الاسبانية ، وهو بحث اجتماعي عالمي مع ٢٧ كتابا آخرين ، لمؤلفين من جنسيات مختلفة ، وقد أجيز تدريسه لمدة عشر سنوات في الصفوف الاعدادية كمادة ثقافية عائلية واجتماعية ، وترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية وطبع ونشر في فينزويلا هذا العام ٠

وأوردت الصحف والمجلات الفينزويلية دراسات ، وآراء حول هذا الكتاب ، نوجزها بما يلي :

جريدة " الدياريو" كاراكاس :
المعركة ضد الاضرار الجنسية يظهرأن كل شيء يشير على ان الجهل ، وعدم الرضى يشاركان في عدم سعادة المرأة في العلاقات الجنسية ، من أن هذا الحال في مجتمع الرجال ايضا • وقد تبرهن على ان المرأة اشرف من الرجل في حالة الجماع الجنسي لعدم احتجاجها •

في فينزويلا لم تحظ هذه الدراسة تقدما كبيرا كما انها لم تكن في مقدمة المواضيع للبحث ، مع ان هذا الموضوع يجلب الانتباه دوما وفي كثير من الاحيان كانت تدور حوله اشارات الاستفهام ولمن يهمهم الأمر يوجد في المكتبة الاهلية مراجع عالمية حول هذا الموضوع •

المحامية اليزابيث دومنكز :
أسير ضائعة بين زوابع الحياة المتشعبة •
شاعر غير معروف
أغنية كمياه الجداول الصافية
تصل الى الروح العذراء
نغمة انسانية رائعة .

جريدة الناسيونال :
مؤخرا نشر نديم عساف كتابه " الرجل والمرأة في المجتمع " مادة هامة وموجزة ، من ملاحظات واعلام وانطباعات الكاتب والشاعر الفلسطيني الذي يقيم في فينزويلا منذ سنة ١٩٥٤ شخصية المرأة كانت من اهتماماته الرئيسية ، كثيرون من الرجال ينظرون للمرأة كشيء جميل وللمتعة ، عندما تتحرك امامهم ، تلفت أنظارهم ، ولكن هذا خطأ يقول عساف عندما يبدأ بسرد موضوعه ، ان اهتمام المؤلف لموضوع استحوذ انتباه العالم أجمع قيم •

مجلة بوهيميا :
عربي يكتب عن المرأة :مفاجاة سارة نتيجة هذا البحث الذي يقدمه لنا نديم عساف •

نحن بدورنا ندعم هذه المحاولة الادبية من رجل وصل الى فينزويلا للبحث عن جو جديد والآن يقدم لنا موضوعا ثقافيا هاما •

المحامية خوسنينا باستردو :
عندما وقع بين يدي هذا العمل النبيل ذهلت لشعوري العميق بالدهشة والتقدير لما يقدمه لنا هذا الكاتب الكبير ، وكشخصية لا تهدأ في عالم الادب واعتبر بأن انتاجه يحوي دفئا انسانيا والذي يسمح للقارىء ان يتمتع به منذ البداية •

مجلة بندورا :
من أكثر البحوث قراءة من اسبانية وارجنتينية وفينزويلية •

مجلة اوندا : بقلم رئيسة اتحاد الكتاب •
هذا العمل الذي نعلق عليه الرجل والمرأة في المجتمع يبعث بي الحماس حول تحرير المرأة في عصرنا الحاضر وللأوجه المختلفة والرئيسه التي تقوم بدورها • نديم عساف يقدم تحليلات اجتماعية وفلسفية عن العلاقات بين الجنسين في مجتمعنا ويقارنها بمجتمعات اخرى ويركز على الاوضاع التي تجابهها بعض النساء ، وعدم تقييمها ، لهذا يستحق التقدير لمحتوياته القيمة والانسانية العادلة نحو المرأة • • هذا الموضوع الذي لم يعالج على مدى التاريخ كما ان المرأة لم تحظ بمكانتها التي تستحقها •

د • رامونا كابيو :
أرغب بواسطة هذه الكلمات ان أعبر لك عن انطباعاتي بخصوص هذا الكتاب المهم : " الرجل والمرأة في المجتمع " ، والذي من خلاله تعطي لهذا المخلوق الاهمية التي يستحقها ، من الضروري نشر هذا الكتاب ، أنا متاكدة بأن كل النساء اللواتي يقرأنه يقدرنه ، كما انه يصلح مادة للتدريس ، هذا التثمين الشامل للمرأة كرفيقة مهنية وصديقة الى آخره لا يفقدها شيئا اذا كانت ذكية مالا اذا ارتكبت وتجاوزت الحدود اكثر من اللازم وفي مثل هذه الحال يجب ان تشكك بانها

عاجزة ، كل شخص يقدر مثل هذا الموضوع الهام الذي تطرقت اليه بعمق ودقة حول المرأة وفي مثل هذا التناسق الفائق لتصل الى معرفة مقدرتها والى معرفة ما وهبته اليها الطبيعة بتعابيرك المفيدة التي تداعب في كل منها اللطف والمحبة والانسانية التي يمكن ان تعطيها المرأة كما تعبر عن كل مايدور حولها من المخلوقات ، مثل هذا الاتقان يستحق اهتمام كل الناس ، وكل امرأة ستشعر بأنها أكثر قدرة لتمثيل دورها ، خاصة المرأة الحديثة والتي تحاول كل يوم ان تتقدم وتقوم بمهماتها الاساسية في المجتمع وكما تشير في كتابك بأنها ديمومة الحياة ومكتشفة لنفسها من بديهية المعرفة متحرية كل مايدور حولها ٠٠ لهذا ولأشياء كثيرة من الصفات التي تشير اليها ، من أجل كل هذا يجب ان نناضل لان هذه المرأة التي تصفها ، قلائل هم الذين يعرفونها كما يجب ان تكون دائما في المجتمعات المتطورة والتي في دور التطور ٠

هذا وسننشر في اعداد قادمة بعض الفصول المنشورة في هذا الكتاب ، وكلها مفيدة ومهمة ويجب ان يطلع عليها القراء العرب ٠



القيامة الآن

قصة : نزار نجار

الى أطفال الحجارة

الحارة كلها تعرف أن حسونة النمر لا يخاف ، وتعرف ايضا أنه لا يريد للولد فتحي إلا السلامة ، وأنه يشفق عليه ، لأنه أصغر منه ، وأن ما طلبه ليس مستحيلا ، وهو يسعى ، بأية وسيلة ليرضي الخالة جميلة ، وهو يفعل ذلك عن طيب خاطر من أجل جدته ، من أجل أهله هناك في المخيم ، من أجل الآخرين الذين صار يتصل بهم في الأيام الأخيرة ، وما يحدث هنا لم ينته بعد .. إنها البداية .. البداية فقط ..

نابلس كلها تلهج باسم حسونة النمر ، وحمزة العطار ، والولد فتحي ، وشعبان الاعرج ، لم يعد هناك أي معنى للخوف ، لكن حمزة العطار لم يكن يحب أن يضيع رخيصا ، والحارة كلها تعرف ، وحسونة لم يجبر أحدا على فعل شيء ، اليس كذلك يا خالتي جميلة ..

....

لم يكن واحد يستطيع أن يخمن بالضبط متى ياتي ، لم يكن واحد أيضا يستطيع أن يخمن كيف يغيب .. حتى الجدة العجوز لا تعرف ، حتى حمزة العطار الذي يتباهى في الحارة ، بعلمه الغزير ، ومعرفته أدق الاسرار ، لا يقدر أن يخمن

من أول الحارة ، يطل بوجهه الباسم دائما ينبثق مع اطلالة النهار ، وقد طر شارباه ، زغب أشقر خفيف يعلو شفته العليا ، يعطيه هيبة غير منظورة في قلوب الاولاد والتلاميذ في الحارة ، الصغار يتغامزون كالعفاريت ، كل يحمل على كتفه خشبة ، يمشي بخطوات العسكر ، واحد.. اثنان .. واحد .. اثنان .. يتركون ألعابهم ، يسلمون على حسونة النمر .. رجال بحطات وقنابيز يصافحونه .. حمزة العطار يسحب كرسي القش من الدكان ، يقدمه له وهو يعزم على الشاي ، يجلس حسونه . يمد ساقيه مسترخيا ، عاقدا يديه أمام صدره ، ينتظر كوب الشاي ، عيناه على الطريق ، وهو يحدق في المارين ، يرشف الشاي الساخن ، يصدر صوتا مسموعا ، كأنما يمتصه من الكوب ، يجد متعة خاصة ، لا يعرفها غيره .. يضرب بكفه على جبينه ، كمن تذكر ..

- صحيح .... أستأذن ..

ينهض .. يقطع الطريق .. يغيب من جديد ..

....

هذه المرة ، بدأ حسونة أكبر من عمره ،قامته المديدة ، وجهه الصامت ، طريقته في شرب الشاي ، وقوفه المفاجيء ، كأنما نسي أمرا ، لهجته حين نطق بكلمة : أستأذن .. كل ذلك بعث في الحاضرين نوعامن الحذر من حسونة ، نوعا من الاحترام المبهم ، هذه المرة لم يقل شيئا يدعو الى السخرية ، لم يقذف أحدا من الاولاد بشتيمة ، لم يسمعنا آخر نكتة قادمة من مخيم طولكرم ، حيث أهله هناك .. لم يحدث أحدا بشيء ، كان هناك ما يشغل رأسه الأشقر الجميل ، فظل بعيدا عنا ، أو أننا آثرنا أن نحترم صمته غير المعهود .

....

لم يعد أي منا يراه في زاوية الشارع أمام السينما لذا افتقدناه عرفنا أين يمكن ان يكون ،

كانما ألصق بالغراء في زاويته المشهورة ، يلاحق بعينيه الجميلتين الفتيات اليهوديات ويرد بنزق عن جبينه خصلته الشقراء ٠٠ ربما كانت تاسره مشيتهن ببنطلونات الجينز أو التنانير القصيرة ٠٠ جدته تلح عليه ليعود الى أهله في المخيم، إذا كان لايريد متابعة الدراسة ، تقول بصوتها الحنون :

- حسونة ، يا صغيري ، أهلك لا يعرفون انك تتسكع ، ولا تفعل شيئا ، لايعرفون انك تحملق فقط في البنات ، تحملق و ٠٠ تدخن ٠

....

حسونة لم يكن أهلا لأن يكون تلميذا ، ولم تنفع توسلات الجدة في شيء ، هجر الدراسة ، وركض كمهر بري في نابلس ، يدور في الأسواق ، ويتشاجر مع الاولاد ، ويدخن ٠٠ وحين يعضه الحنين الى زملاء المدرسة ، يمتطي السور ، ويعزف أنغام الرثاء لحال التلاميذ ، ولا ينسى توزيع الالقاب والشتائم ، تاركا للسانه السليط حريته ، معلقا على الاخبار القادمة من أقربائه في القدس ، وحيفا ، ويافا ، ومخيم طولكرم ، ورام الله ٠٠ يهزأ مما حوله ، ويمضي غير مبال بشيء، وقد دس بين شفتيه سيجارة ، وخصلته الشقراء يردها بنزق عن جبينه ٠٠

بدا هذه المرة ، أنه كبر عشر سنوات ، دفعة واحدة ، بدا هادئا صامتا ، وعيناه وحدهما تقولان اشياء كثيرة ، غامضة ومبهمة ٠٠ ومتوترة أيضا ٠٠ بدا أنه لا يخاف ، ولكنه لا يريد إغضاب الخالة جميلة ، أو يثير سخط الجدة ، وهي تبيع البيض أمام الجامع ، تلف طرحتها البيضاء النظيفة ، يظهر وجهها البدري الطيب ، تهدل بصوتها :

- طازج ٠٠ طازج البيض ٠

وقبل العصر ، طبق القش يكون فارغا ، تلف ثمن البيض بمنديلها الازرق ، وتكر راجعة الى الدار ، تحضر لقمة للولد حسونة ، الذي يتأخر حتى العشاء ٠٠

وللوهلة الاولى ، لم تصدق العجوز ما التقطته أذناها ، حسونة يعتذر عن غيابه ، يلثم يديها ، ويعتذر نظرات في عينيه ، ارتجف قلبها، أحست انه لم يكن حسونة الذي ربته ٠٠ وجهه ينطق بلغة جديدة ٠٠ صورته الحلوة تفيض بأشياء لا تدرك ، تهيبت ان تديم النظر ، كأنها في حضرة رجل ، حسونة يشبه جده الذي حارب الانكليز ، حارب الانتداب ، حارب اليهود ، حارب هيئة الامم ، حارب العالم ، قبل سقوطه في جبل الخضر ٠٠

....

دروب نابلس بدأت تظهر حضورا لجنود الاحتلال ، كانوا يخبون في كل ناحية ، في الأسواق القديمة ، والساحات ، أمام البراكين ، أمام الجوامع ، في الحارات ، توجوا حضورهم المكثف بتمشيط الاحياء ٠٠ لم يدر أحد ماذا يريد الاسرائيليون ٠

قالت العجوز :

- انهم لايعرفون الله ، طبق القش فتشوه ، كسروا نصف البيض ٠٠ وانصرفوا ٠٠

دخلوا الحارة ، صفوفهم كانت أرتالا ، ابتسموا للعابرين ، لوحوا بأيديهم وابتسموا ٠٠ أخذوا مواقعهم أمام الجامع ، وفي طرف الساحة ، وعند دكان حمزة العطار ، قالت الخالة جميلة :

- نحن نعرفهم ٠٠ يضحكون اليوم ، وغدا يكشرون ٠٠ لعبتهم مكشوفة ٠

حسونة يوزع الانباء ، ينشرها على نحو مثير ، تحركات الاهل صرنا نعرفها ٠٠ كل ساعة أخبار جديدة ، الحركة عندنا كثيفة ، وعصبية ٠٠ كثير من الرواح والمجيء ٠٠ لحظات ترقب ،

في ذاكرة الحارة حكايات غير مكتوبة عن الغائبين والمفقودين ·· والتائهين ··
قال حسونة :
- سجن عتليت وحده فيه ألف وثمانمائة من نابلس ··
رد حمزة العطار :
- المعركة القادمة غير متكافئة ··
صاح شعبان الأعرج :
- انتظر ·· كل شيء له وقت ··
أكمل حمزة :
- لم يعد عندنا سوى الاطفال ·· والعجائز ··
علق الصفدي :
- لكل وقت ناسه ·
حمزة يماحك :
- أنتم تقذفون بأنفسكم مجانا
صاح حسونة :
- مجانا ·· لكل أجل كتاب ·· ارجع لحضن أمك يا حمزة ·· اختبيء في بيتكم مثل دجاجة ·
قال الولد فتحي :
- متى تقوم القيامة هنا ··
رد حسونة دون أن يلتفت :
- اخرس ·· أنت ·· مازلت صغيرا لا تفهم ·
قال الصفدي :
- لايعرفون الله ·· بعد صلاة الجمعة ، ساقوا خطيب الجامع ، مد عيدانه يخبيء تحت الجبة سلاحا ·

················

لم تعد نابلس وديعة كاليمامة ··
صارت كتلة من رماد وحزن ، وخوف ، الجنود مصفحون ، ثيابهم ثقيلة ، أسلحتهم ثقيلة ، خوذاتهم ثقيلة ، تغطي الرأس كله والرقبة والأذنين وأسفل الذقن ، لا يظهر سوى الجزء الأمامي من الوجه ·· كان فتحي واقفا عند سور المدرسة ، حقيبته في يده ، حين لمح الدورية ·· ترجل أفرادها من سيارة الجيب ، انقضوا على فتى أسمر، تشبث فتحي بمكانه وهو يبتلع ريقه ·· خيل إليه أن كل شيء توقف عن الحركة وأن السكون خيم على المكان ، لم يعد يسمع سوى دقات قلبه الصغير ، كانت تنبض بقوة ، أحاط المصفحون بالفتى ·· دنا أطولهم وقال :
- ارني يدك !!
مد الأسمر يده بلا مبالاة :
- هذه ··
قال الاسرائيلي :
- أهذه التي تكتب بها ؟
- نعم ·
قال الاسرائيلي :
- أيكم بارع في الكاراتيه ·· (غمز بعينه)
انقض اثنان عليه بدون إبطاء ·

ارتجف فتحي ·· ارتجفت الحقيبة في يده ماذا يمكن أن يفعل حسونة لو كان في موضعه ، انفلت منه صوت ، اشبه بآهة أو أنين ·· أندفع دون وعي نحوهما ، كاشفا عن نفسه ، وبركلة من قدم الضابط ، لم يستطع تفاديها ، ارتد الى السور وهو يهتز من الالم ، لكنه لم يشعر بحاجة الى البكاء ثبت الجنديان ذراع الفتى على طرف السيارة ، تسابقا في الضرب ، سمع صوت ، تحطمت الاصابع والرسغ في وقت واحد ·· خبأفتحي وجهه ·· وكان ينتفض من الرعب ··

················

·····················

ضمه حسونة النمر ·· وقال :
- عد الى البيت ··

هتف فتحي :

- هذه المرة ، جربني ٠٠

ضغط النمر على الحروف :

- أنت لن تقدر ، انهم مثل كلاب الصيد ، ربما اكتشفوا ذلك قبل أن تصل اليهم ٠٠

توسل الصغير :

- جربني ، مرة واحدة فقط ٠٠

- لا أستطيع ، خالتي جميلة تغضب ، اذهب الان

لم يهتز فتحي من مكانه ٠٠ كان حسونة ما زال منهمكا في ملء الزجاجات الحارقة ، لم يفطن لوجوده ٠٠ وحين لمحه ثانية ، صرخ مزمجرا :

- لا مجال الآن ، عندي شغل ٠

فتحي تسمر عند العتبة ، فتحي لم ينبس بكلمة ،

صاح حسونة :

- اذهب ، من هنا ،وإلا رميت بك خارجا ٠

- أمرك ٠٠

ولكنه لم يبرح مكانه ٠٠

ترك الاشقر عمله ، أخذ قضيبا من الحديد ، هجم نحو فتحي ٠ ٠ وبدل أن ينهزم الصغير تقدم ، ٠٠ برشاقة تقدم ، مصوبا نظرة ثابتة نحو حسونة الغاضب ، وصرخ بكل قواه :

- لن أتزحزح ٠٠

توقف حسونة ٠٠ رد خصلة الشعر التي غطت جبينه ، حدق فيه طويلا ، ألقى القضيب ، وضمه الى صدره من جديد ، وكأنه منوم ردد :

- ولكن خالتي ، لن تسامحني !!

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

دوت انفجارات ٠٠ تداخلت الأصوات ٠٠

حرثت قذائف الجنود الطرقات والدروب ، والأزقة، استمرت الانفجارات بطريقة غير مألوفة ، تمترس الجنود ، ردوا بقذائف الآربي جي والطلقات السريعة ، اجتاحوا سماء المدينة ، مئات المرات ، ألوف المرات ، تحرك الراقدون في مقبرة الزيتون منذ ألف عام ، نابلس لم تعد وديعة كيمامة ٠٠ نابلس صارت كتلة من كراهية ومقت وهياج وغضب ٠٠ كدس الأولاد في الحارة أكوام الحجارة، جمعوا بلاط الشارع ، كدس كل منهم أمامه ذخيرة وافرة ، اهتزت الأنباء مع مجيء حسونة ، من جبل الزيتون حتى وادي اللجون ٠٠ رددت الأودية الخضراء ، نداء التلاميذ الصغار ، وعلى رأسهم حسونة وشعبان الأعرج ، والولد فتحي ، والصفدي ، وحمزة العطار ، وابراهيم ٠٠

- مافي خوف ٠٠ مافي خوف ٠٠

صار الحجر كلاشنكوف ٠٠

بدأت معركة التراشق بالحجارة ٠٠

اقترب الجنود من مدخل الحارة ٠٠ برزت مجنزرة صغيرة ، تحمي تقدمهم نحونا ٠٠ كانت حمدة بائعة اللبن أول من بدأ المعركة ٠٠ تقبض على بلاطة القرميد ، تحطمها على ركبتها العجفاء، ثم تقذف القطعتين معا بيمنيها ، وشمالها ، اندفع ابراهيم على الرغم من توسلات حمزة الذي كان يجره ليلحق بأمه ، اندفع يقذف بالحجارة بكل مافي ساعديه الصغيرين من قوة ٠٠

سرى الغضب ، وبدأ المصفحون ينهشون أطراف الساحة ، يطلقون هنا وهناك ، عاونت بنادقهم سريعة الطلقات ضربات الآربي جي اللعينة ، تفرق الصغار أمام العاصفة المنقضة ، ارتدحمزة الى دكانه ، أغلقها من الداخل ٠٠ انتظر ٠٠ اللحظات التالية ، عاد ابراهيم وبيده الحجارة ، صاح به :

- عد الى أمك ٠٠

ضاع صوته مع أزيز الرصاص ، وايقاع الانفجارات

المباغتة ، دخان أسود تصاعد من بعيد ، ظلت المشاهد أليفة بالنسبة للأولاد ٠٠ طاف حسونة بزجاجاته الحارقة ، وزعها بطريقة غير مفهومة ، تقدمت المجنزرة الصغيرة ، صرخ حسونة :

- الجبناء ٠٠ لن يدخلوا الحارة ٠٠

بدأ الصغار كأنهم خارجون من كهوف وادي اللجون ،ظهروا معفري الوجوه كأنهم من كهوف الأساطير ٠٠ تابعوا طريقهم نحو الجنود المصفحين ، توقف الموت ينتظر ٠٠ ماذا يحدث في الحارة ٠٠

خرجت الجدة ، هتفت :

- حسونة ٠٠ ارجع ٠٠ ارجع بسرعة ٠٠

حسونة يمشي نحو الجنود ٠٠ شعبان يمشي ٠٠ الصفدي يمشي ٠٠ ابراهيم يمشي ٠٠ بائعة اللبن ٠٠ الولد فتحي ٠٠ صاحت الجدة :

- حبيبي حسونة ٠٠ ارجع

صاح فتحي :

- ماني خوف ٠٠

رد حسونة بغضب :

- فتحي ٠٠ تأخر أنت ٠٠

ارتفعت الأصوات صاخبة ، ارتفعت ٠٠ وصلت الى بئر يعقوب ، وقبر يوسف ، تسلقت هذه المرة جبل جريزيم ، استطالت النداءات اللاهبة فوق نابلس ، فوق الجبال الصخرية الجرداء، ازداد الأولاد شراسة ، ووابل الحجارة يزداد عنفا ، مد حمزة العطار رأسه ، يعاين مايجري ٠

صاحت الخالة جميلة :

- ها أنت جبان ، ماذا بك ٠

كان واقفا ذاهلا ، عيناه تدوران في محجريهما ، ولا يفعل شيئا ، صاحت الخالة جميلة :

- ألا تريد أن تمسك بهذه الحجارة ، أم يجب ان تبصق الحارة في وجهك حتى تدب فيك روح الشجاعة ٠٠ ؟

احمر وجه حمزة ، قفز من الدكان ، صار في الطريق ، طفق يكسر الحجارة ، ويلقيها على الجنود ٠٠ تقدم ٠٠ تقدم ٠٠ الاشياء حوله تدور ٠٠ تقدم، وجد نفسه أمام المجنزرة الصغيرة وجها لوجه ٠٠لم تعد صغيرة ٠٠ أغمض عينيه ، يداه امتدتا الى الحديد ، يداه تبحثان عن شيء ، تتشبثان بشيء ٠٠

اشتد عصف الحجارة ٠٠

انطلقت قذائفهم في عاصفة مريعة ٠٠

دحرج شعبان الاعرج إطار سيارة مشتعل ألحقه بزجاجة حارقة ، سقطت خلف المجنزرة تماما ، شعر شعبان بأنه يكاد يختنق ، رغبة مجنونة تساوره في ان يبدد العالم ، كي ينتهي عرجه ، تنتهي حياته الشقية الملعونة مع الخواجايات ، كفاه ما تمرغ به كالكلاب من وحول دروبهم ٠٠

حاول الجنود أن يأخذوا أماكن أكثر أهمية ، قفز حسونة النمر ، اشعل حرائق صغيرة، تلوت صفوف الجنود ٠٠ تململت حانقة ٠٠ تسلق حمزة المجنزرة ، قذائف جديدة انطلقت ، والجدة تقذف الحجارة ، والخالة جميلة ٠٠ والولد فتحي ، وابراهيم ، والصفدي ، وشعبان ، وبائعة اللبن ، والسماء ، والأشجار ، والاسطحة ، والشبابيك ، والطرقات ، صار حمزة فوق المجنزرة ، أخلاها الجنود ، وتقهقروا ، احاطتها النيران ، تردد طلق منفرد ٠٠وسكتت الأصوات فجأة ٠٠ ساد ذعر مجنون ٠٠ سقط حمزة متشبثا بسقف المجنزرة ، سقط متصلبا كحزمة من الحطب ، وهو يمضغ كلمة سباب اخيرة مع دفق دمه ٠٠ كانت

عيناه مفتوحتين، وهو يبتسم ، ينظر اليهم ويبتسم ، للخالة جميلة ، والجدة ، وحسونة وشعبان ، يبتسم لهم واحدا بعد الاخر ، سعيدا أن يراهم جميعا حوله ٠٠

صارت المجنزرة المعطلة متراسا ، سميناه متراس حسونة النمر ٠٠

قالت الخالة جميلة :

بل هو متراس حمزة العطار ٠٠

صاحت الجدة :

- المجنزرة المعطلة متراس الحارة كلها ٠٠

٠٠ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

وظلت السماء تمطر حجارة ولهبا ٠٠ وغضبا ٠٠

نزار نجار - حماه



رحماك

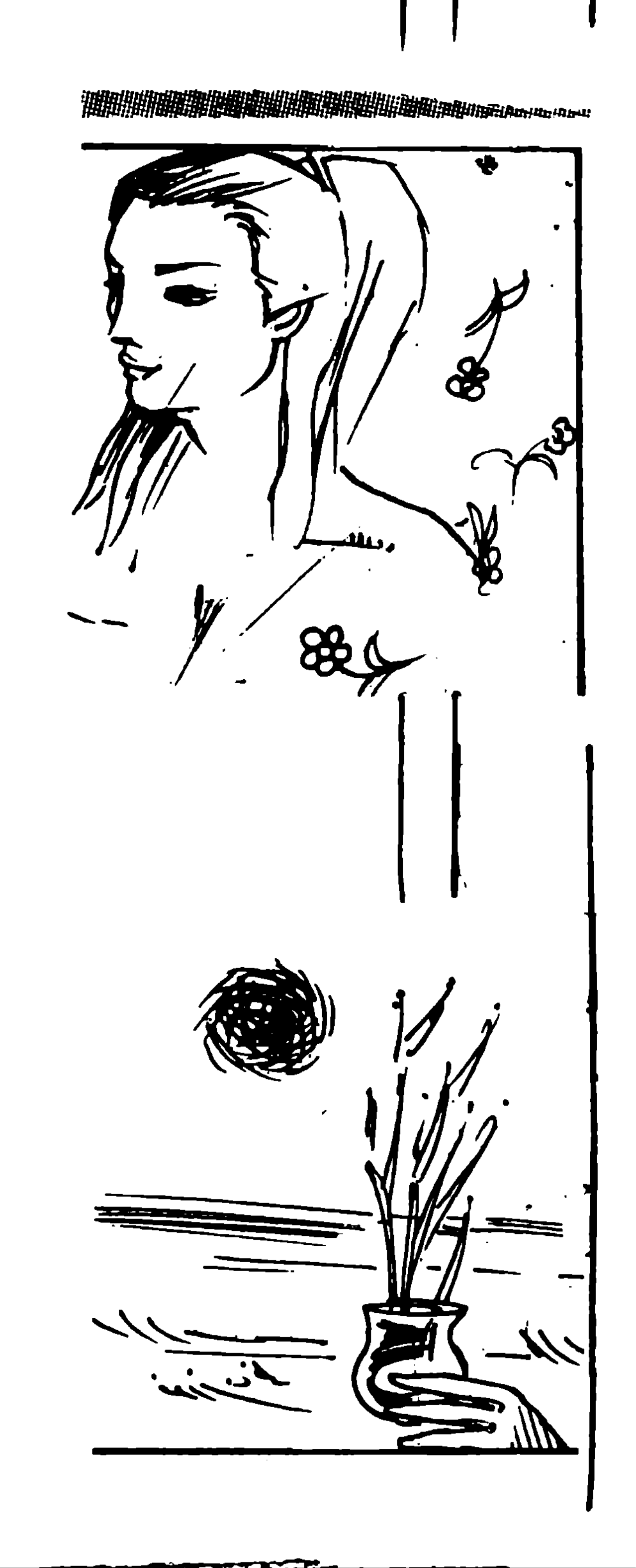
شعر: محمد شريف الشيباني

رحماك " ليلاي " الهوى رحماك
هذا الوجود بخلقه يفداك
فلأنت ينبوع المسرة والمنى
ولأنت متعة كل قلب شاكي
ومنار أحداق المحبين الألى
ذابوا بفتنة لحظك الفتاك
ومحط آمال بعذب رفيفها
نبضت قلوبهم لكسب رضاك
أنموذج للحسن أنت أم الهوى
لما توطن سحره أفياك ؟
يا للجمال المستدل بلونك
الدري سحنته الى سياك
يا للأنوثة حين تعصف نارها
لم يبق للانسان أي حراك

**

ان كنت مالكة زمام الحسن في
هذا الغوي ودلاله الفتاك
كيف ارتميت على طريقي جذوة
ونصبت للخفاق سهم شباك
قد صدتني بفتون لحظك قبله
لم تتعبين يديك في امساكي
وأنا من الالم الدي أججته
جسمي غدا حقلا من الاشواك

**



شربل بعيني
ملاح في جزيرة الله

بقلم
مفيد نبزو

من على الشاطىء تنذر صفارة الرحيل ، فيقف الشاعر يصغي لنبضات قلب يطفق بشتى الانفعالات وألوان المشاعر ، بينما بصره يجول في مساحات شاسعة من العالم اللامتناهي ، وبعدئذ يقترب رويدا رويدا بتأمل عميق الى القارب الخشبي والمجذافين المرهقين والقلم في رأس الشراع منارة تعلن عن رحلة الشعر في بحار المجهول لعله ينهي مشقة البحث بدون جدوى ، لعله يلتقي بالحقيقة الازلية والابدية ..

تحرك القارب على أمواج هادئة في غروب هادىء أيقظ شفق السماء وسافر الى شروق جديد ، وبعد أن تحرك القارب كانت الرحلة وكان البحث العشوائي عن الله ، ورغم كل ما ينجم عن البحر ويلفظه البحر من مخاطر ، ورغم كل ما تحتويه السماء من مصاعب وحواجز تابع الملاح وتابع بإصرار لا يحده حد وعزيمة وارادة لا تعرفان للاحباط واليأس سبيلا .

وتعرض الملاح الشاعر للعواصف الهوجاء والفيضان الحسي والزلازل العصبية والبراكين الانفعالية ، ومع هذا تابع رحلته وابى الا ان يكون نوح الشعر وأيوب الكلمة ، وفي سبيل الاهداف يحلو المر وتعشق الاهوال ، وها هو الشاعر الملاح يعبر عن أزماته ومآزفه وآلامه الى سراديب النور ومن هناك ينثر حبات قلبه :

لا تسلني يا حبيبي كيف أينعت السنابل
رغم رحيل الشمس عن ارضي وأنات البلابل

رحلت الشمس عن لبنان ومع الشمس رحل الشاعر وفي حقيبته رؤاه الحزينة وأغانيه المتوجعة ، رحل عن الموت الى الحياة ومن الجحيم الى النعيم وفي رحلته لا بد أن يمر في مراحل وبتجارب عديدة :

قررت أن أحارب القبور والاكفان
وأطعن الموت الذي يجترنا في رحلة الازمان

ويمر الزمن والقارب يمخر عباب المجهول ، والشاعر الملاح ينشر رذاذ حروفه على صفحات الغربة ولكن الحيرة ما تزال والشوق مايزال ، الحب ما يزال والكره ما يزال ، البركة ما تزال واللعنة ما تزال ، الظلمة ما تزال فأين النور ؟ اذا كان النور ظلمة والظلمة كم تكون ؟؟

وتستمر رحلة البحث عن نور يختصر كل مافي الكون ، وعن جزء دنيوي يسأل ويلح في البحث عن طلق الرحمة وقاهر الالم والموت :

يا ضمير الرأفة المطعون بالخنجر
في ليلة حب وهوى
أذكر يوم جئتك منحنيا
كاللعنة أدبدب وقلت لك :
أريد منك رحمة ..

وتتشابك الهواجس ويوهم النظر ، والملاح ينزف على الدفاتر ، ويرسل مايراه في نفسه ..

إني وجدت مذ خلقت كي أكون النور في عرس الدفاتر .. وعند المساء يضع الملاح الشاعر صوت فيروز الملائكي في رحلته ، وعندما تؤثر به وترفد روحه بالعبق الروحي ، وتحرض مشاعره وتضفي عليها نبلا جديدا ووحيا جديدا من فوق الامواج المترجرجة المتعانقة بفرح طفولي مع قارب يتهادى ويتراقص على لحن الرجاء وعزيف اللقاء فيقول :

عاشت الأسماء يا فيروز يا لؤلؤة الديجور
من غيرك يزرعنا أزهار حب ووفاء
في مروج الخلد في أزقة السماء ؟؟

وبعد تعب طويل وسفر طويل يضني ويؤرق لا بد أن ينشد موال الغربة الجريح :

اين يسوعي الصغير
فإنني قد ذقت صلبه
أين الرسول محمد
اين الحسين والحسن
أين الصحابة .. ؟؟

قد هجرت الدار مثلك يا رسولي
ولم أجد تلك المدينة
كل المدئن في بلادي توحدت بحروف غربه ..

ويبقى القارب جادا في البحث والتفتيش عن المحبة والعدالة والجمال والعقل والارادة والضمير وعن المعرفة والحقيقة المطلقة ، عن الرجاء المطلق والمرفأ الاخير :

ليست الاحلام ما أبغي
أنا التواق دوما للحقيقة

ويخطر في الذهن سؤال يراود البال ، لم اختار هذا الشاعر البحر في رحلته المبهمة ؟ ألان البر أمسى جحيما حارقا وأطفال البراءة براعم المستقبل بحاجة الى عطف وحنان كي يترعرعوا وينضجوا في ظله :

البحر يندهني فهل من مانع
أن يرتمي الاطفال في الاحضان
قد حولوا الدنيا جحيما حارقا
والطفل لا ينمو بغير حنان

وهكذا تستمر الرحلة شيئا فشيئا حتى تتلاشى خيوط الليل وتتمخض عنها أحلام فجر جديد في انسلال سحري وفرح الهي وخلاص أبدي من عذاب المتاهات والامال التي تثمر عن وهم وسراب :

أغمضت عيني وطرت في فضاء أزرق جميل
فتراءت قمما عالية تحسبها الجفن الكحيل
لعيون زين الله بها وجه أميره
لم تلدها امرأة ولم تدس أرض عشيره
وليس من صنو لها او من بديل

وتتراءى مظاهر الطبيعة المقدسة والمعابد المقدسة :

ثم بانت تحتها أودية الطهر العميقة
عمق الصلاة والقداسة في معابدنا العتيقة

فيكبر قلب الشاعر وينتعش ، وتتراقص ألوان الضياء في مقلتيه ، ثم يشعر بالصفاء الروحي والنقاء الفكري والطهر الجسدي ، وتؤوب الى راحتيه حمائم السلام ، ثم يتحد بصوفية اللحظة السامية ومن ثم بسر الخلود ولغز الوجود وينعتق من كل ربقة في الكون العجيب الذي أصبحت نهايته على مدى أميال قليلة قليلة منه ، وتلوح من خلف الافق جزيرة مضيئة خضراء صغيرة جدا جدا في منتصفها على كتف السماء ضوء بسيط بسيط جدا على شكل قوس قزح ، فينتشي الملاح بالظرف المنشود ، ويولد من جديد بعمق جديد ورؤى جديدة ، وقبل ان يربط اربطة القارب على شاطىء الجزيرة المتلألأ بحروف الحياة يسمع صوتا مشين البحة ممتعا في الاذن لذيذ السماع :

قف أيها الغبي .. من أنت .. ؟

فيرد الملاح الشاعر اسمع :

من حزني الطويل يا حبيبتي
ومن نمو الذكريات العالقة بالبال
تفتقت آمال .. كبرعم الاشجار
كالنبع الذي يكون الشلال
الحزن مشاني خطى تقود للكمال ..

فيختفي ذلك الصوت المحمل بالاختناق والمعبأ بالظلمة التي تستل اليقظة وينفث سموم الغدر وينزل الملاح وصوته يردد بعفوية اللقاء وترنيمة الايمان :

هزني شوق الرجوع اليك يا أرضي الرحيمه
انا الذي قوضت بالشعر رموز الحقد والضغينة

ويستيقظ الشاعر يقظته الخالدة من اغفاءة الحلم المقدس ، وتتفق عيناه على ثمار الحقيقة في فردوس ساحر ، وينهل بعذوبة بعد ظمأ الموت من ينبوع المسرة الحقيقية وشلال الحياة الخالد:

أنا من عاش مصلوبا
على خشبات إحساسه
وجرحه نازف أبدا
ولا جرح بمقياسه
أنا من عضه الشوق
ولحمه بين أضراسه

وهكذا يرسو القارب بعد ذوبان روحي والتحام مع الوعي السماوي ، وبعد أن عبرت الرحلة جحيما من نار ومطهرا من الشرور والاثام ، لتشرق الشمس وتنضج السنابل ١، وتدب روح العبقرية والابداع في المجانين ٢، ويتعانق الاحباب٣ ، والصدى يتردد في وديان الطهر :
الهي جديد عليكم ٤ تشعل شموع جديدة بلهب جديد٥ وتورق المراهقة ٦بشباب متجدد مدرك وتكف الغربة الطويلة عن البحث اللامجدي ٧ وعند اول وعاء مغمور بالحق مفعم بالجمال تحت أرزة تنبض بعروقها المحبة وترفرف على أغصانها المعرفة يصلي الشاعر صلاته لراحة النفس البشرية واستمرار الحياة فيقطر زيت من زيت الحياة يوقن بعدها الملاح الشاعر انها الراحة المنشودة واللقاء الاخير والخلاص الابدي الذي يكون به : الله ونقطة زيت ٠ ٨

مفيد نبزو

١-٢-٣-٤-٦-٧-٨ مجموعات شعرية للشاعر
٥- عنوان قصيدة للشاعر
٨- الشاعر شربل بعيني من مواليد ١٩٥١ لبنان مجدليا - هاجر الى اوستراليا في ٢١ كانون الاول ١٩٧١ وهو أول من بذر حروف الشعر العربي هناك ٠

الى اللقاء..

الـــودُ

بقلم: محمود نجيب الفلاح

ثم قامت فتاة هيفاء جميلة الطلعة ، لطيفة المعشر ، حلوة الحديث ، وقالت :

لقد تحدثت الى نفوسنا ألوانا من الحديث واضحة أوضح من أن تنكرها النفوس ، تصور آمالنا وآلامنا وتطلعاتنا أجمل تصوير ، تصور هذا كله وأكثر من هذا كله وتحمله الى نفوسنا في أناة متأنية ورفق رفيق لا تشق عليك ولا على أنفسنا بذلك ، وانما تسعى أحاديثك الى قلوبنا عفوا في غير مشقة ولا جهد وفي غير تكلف ولا تصنع ونحن نستمع اليك ونعقل ما تقول من أحاديثك فتتفتح لها نفوسنا وتنشرح لها صورنا ، وأنت قائم مبتسم تؤدي رسالتك وتلقي احاديثك لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ، لقد شعرنا بأنك تبلغ رسالة الانسان العربي الى الانسان العربي ، بل الى الانسان في العالم أجمع فهل لك أيها العزيز على قلوبنا أن تحدثنا عن الود ، فأجاب قائلا :

ما أجمل الود الخالص الذي لا يصدر عن طمع ولا عن خوف ولا يشوبه رهب أو رعب ولا تفسده مخادعة أو مصانعة ، ولا رغبة في آمال يريد أن تتحقق ويخشى أن تخيب ، والذي لا يصور بأسا من غيرك ورجاء فيك ، والذي لا يبتغي عندك نفعا ولا يتقي منك ضرا والذي لا يكدره ما يكدر صلات الناس من هذا الشر النكر الذي تخفيه الضمائر وتكتمه القلوب ، وانما هو الود الصفو والعفو الذي يصدر من النفس الى النفس ، ويصل القلب ويبلغ الضمير رسالة الضمير ويجعل من الناس اخوة لا تأتي من قرابة النسب ولا من اشتراك بالمصالح ولا من تضامن الناس وتعاونهم ليكيد بعضهم ببعض، وإنما تأتي من الود حين يتصل بين الناس شعور صفو بالجمال الصفو ، وطموح رفيع الى الحق الرفيع ، وينشيء بين الناس صلات حلوة بريئة إلا من حب المعرفة ، نقية الا من الترفع عن الصغائر والتنزه عما يشين الرجل الكريم ، وحين يسود الود بين الناس يصبح حديثهم لطيفا رقيقا شيقا لا يؤذي السمع ولا يشق على النفس ولا ينشغل بما يعرض للناس من المنافع والمآرب والحاجات وانما يكون حديثه صادقا محببا يبلغ أعماق الضمير والقلب في غير جهد ولا تكلف ، ويشيع في القلوب رضا وأمنا واطمئنانا وفي العقول نباهة وثقة ، إن الحياة ليست كلها غدرا ومكرا وكذبا وخداعا ونفاقا وكدرا ، وإنما هي شيء أرقى وأنقى وأجمل وأكمل من هذا كله ، وهي خليقة أن نحياها بكل وجد ومحبة وأمانة واخلاص .

عندما يسود الود والحب والاخلاص والامانة بيننا ترقى نفوسنا وتبتهج قلوبنا وتحيا حياة سعيدة راقية متحضرة بعيدة عن الحقد والكراهية والبغضاء ، عند ذلك نرقى ويرقى أبناؤنا وترقى أمتنا لأن نفسها امتلأت خيرا يفيض عليها وعلى الناس أجمعين .

من كتاب النور محمود نجيب الفلاح